زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور

لشيخ الإسلام ابن تيمية

تحقيق ودراسة
قسم التحقيق بالدار



دار الصحابة للتراث بطنطا
الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ هـ . ١٩٩٢ م
المراسلات / دار الصحابة للتراث بطنطا .
ش المديرية بجوار محطة بنزين التعاون
ص ب / ٤٧٧ .

[٢ / القبور / صحابة]

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (١) .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ (٢) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ (٣) .

*** أما بعد :**

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ . وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

*** ثم أما بعد :**

فإنه لما كانت دعوة الأنبياء والرسل جميعهم واحدة ؛ ألا وهى الدعوة إلى توحيد رب العالمين ، كانت هذه القضية من الأهمية بمكان بحيث نجد أن دعوة الرسل جميعهم تنحو منحى واحداً ، وهو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل ولقد أخبرنا ربنا تبارك وتعالى

---

(١) آل عمران : ١٠٢ .	(٢) النساء : ١ .

(٣) الأحزاب : ٧٠ ، ٧١

عن ذلك فقال فى كتابه العزيز ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ (١) ، وقال تعالى ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾(٢)

وعن خطورة وأهمية هذه القضية حدثنا رسول الله ﷺ - فقال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه : « يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ »

قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله : أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً (٣) .

من ذلك وغيره يتبين لنا أهمية قضية التوحيد وخطورتها على الفرد والمجتمع سواء .

ومما يدعو للأسف والحسرة أن نرى معظم البلدان الإسلامية إلا من رحم الله - قد انحرفت عقيدتها عن توحيد ربها فانتشر فيها أنواع من الشرك ؛ كبيره وصغيره ، فنجد الناس فى بلدنا وغيرها من البلاد يفعلون أفعال المشركين دون رد أو إنكار ، بل ربما يحدث ذلك والله بمباركة بعض الذين يسميهم العامة علماء ؛ فيحضرون معهم الموالد والأعياد والاحتفالات البدعية ، فنجد من يدعو من دون الله تبارك وتعالى ، ومن ينذر لغير الله عز وجل ، ومن يذبح لأوليائه ، ومن يدعون أصحاب القبور ، ويطلبون منهم قضاء الحاجات وشفاء المرضى ، وسلامة الأولاد والماشية وغير ذلك من الموت والشرور والمهالك ، يحدث هذا تحت سمع وبصر من يدعون علماء فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولما كانت هذه الأمور التى تحدثنا عنها من الخطورة بمكان فلقد تصدى لها العلماء المخلصون على مر العصور والأزمان ، ومن أبرز هؤلاء العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى ، وطيب ثراه - فلقد تصدى لمثل ذلك وغير من البدع والخرافات والعقائد الباطلة ، الداخلة على ديننا الحنيف ، كما رد على بعض الفرق الضالة مثل الرافضة ومبتدعى الصوفية وغيرها ، وهذه الرسالة التى بين أيدينا تعالج كثيراً من هذه الاعتقادات

---

(١) النحل : ٣٦ .

(٢) الأنبياء : ٢٥ .

(٣) أخرجه الشيخان فى الصحيحين .

الباطلة التى ما أنزل الله بها من سلطان .

واستمراراً على الدرب تقدم دار الصحابة للتراث هذه الرسالة القيمة لتكون خطوة جديدة لنشر السنة ودحر البدعة .

نسأل الله تعالى أن ينفع بها جميع إخواننا وأخواتنا من المسلمين والمسلمات فى جميع الأرض الإسلامية ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * * *

نبذة مختصرة عن شيخ الإسلام ابن تيمية

***اسمه و نسبه :**

هو شيخ الإسلام ، ، المجتهد فى الأحكام ،تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحرانى الحنبلى .

*** مولده :**

ولد رحمه الله تعالى فى حَران ونسب إليها ، وهى من أمهات مدن الجزيرة بين دجلة والفرات سنة ٦٦١ هـ .

***أسرته :**

نشأ ابن تيمية فى بيت علم وفقه وديانة ، فقد كان أبوه شهاب الدين أبو أحمد عبد الحليم إمامًا محققًا ، كثير الفنون ، وكان من أنجم الهدى ، كما قال الحافظ الذهبى .

أما جده فهو مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن تيمية ، قال عنه الحافظ الذهبى : وكان معدوم النظير فى زمانه ، رأسًا فى الفقه وأصوله ، وصنف التصانيف واشتهر اسمه ، وبعد صيته . فهذا هو ابن تيمية ، وها هو أبوه وهذا جده ذرية بعضها من بعض فى العلم والفضل والنبل ، فرحم الله آل تيمية .

*** نشأته وطلبه للعلم :**

بعد استيلاء التتار على البلاد عمل والده على الرحيل به وبأخويه إلى دمشق سنة ٦٦٧ هـ ، فبدأ طلب العلم عند والده فأخذ عنه الفقه والأصول ، وسمع من خلق كثير منهم الشيخ شمس الدين ، والشيخ زين الدين بن المنجا ، والمجد بن عساكر ، وقرأ العربية على ابن عبد القوى ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه ، وكذلك عنى بالحديث ، وسمع الكتب الستة والمسند مرات ، وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه ، وأحكم . أصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغير ذلك من سائر العلوم .

ونظر فى الكلام والفلسفة ، وبرز فى ذلك على أهله ، ورده على رؤسائهم وأكابرهم

، ومهر فى هذه الفضائل ، وتأهل للفتوى والتدريس وهو دون العشرين سنة ، وتضلع فى علم الحديث وحفظه ، حتى قال بعض العلماء :

كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فهو ليس بحديث .

ولقد أمده الله تعالى بكثرة الكتب ، وسرعة الحفظ وقوة الإدراك والفهم وبطء النسيان ، حتى قال غير واحد : إنه لم يكن يحفظ شيئًا فينساه .

*** ثناء العلماء عليه :**

ترجم له الحافظ الذهبى فقال : شيخنا وشيخ الإسلام وفريد العصر علماً ومعرفة وشجاعة ، وذكاء وتنويراً إلهياً ، وكرماً ونصحاً للأمة ، وأمرًا بالمعروف ونهياً عن المنكر . سمع الحديث وأكثر بنفسه من طلبه وكتابته ، وخرج ونظر فى الرجال والطبقات ، وحصل ما لم يحصله غيره ، وبرع فى تفسير القرآن وغاص فى دقائق معانيه بطبع سيّال ، وخاطر وقاد إلى مواضع الإشكال ميال ، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها ، وبرع فى الحديث وحفظه ، فقلّ من يحفظ ما يحفظه من الحديث ، وفاق الناس فى معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين ، وأتقن العربية أصولاً وفروعاً ، ونظر فى العقليات ، .. ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين ، وأوذى فى ذات الله تعالى من المخالفين وأخيف فى نصر السنة المحفوظة حتى أعلى الله تعالى مناره ، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له ، وكبت أعداءه ، وهدى به رجالاً كثيرة من أهل الملل والنحل ، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً وعلى طاعته ، وأحيا به الشأم ، بل الإسلام بعد أن كاد ينثلم ؛ خصوصاً فى كائنة التتار ، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلى ، فلو حلفت بين الركن والمقام : إنى ما رأيت بعينى مثله ، وإنه ما رأى مثل نفسه لما حنثت » . أ . هـ .

والكلام فى فضله يطول ولا نريد أن نطيل فى هذا المقام ، فمن أراد أن يقرأ فى ترجمة شيخ الإسلام سيجد إن شاء الله تعالى مجلدات كثيرة ، فليراجعها من شاء .

*مؤلفاته :

خلف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ثروة فكرية عظيمة ، وقد كان أكثرها رد
أهل البدع والإلحاد ؛ كالدهرية والقدرية والجهمية والمعتزلة والقائلين بوحدة
والفلاسفة وغيرهم من أهل الملل والنحل المختلفة ، وقد بلغت هذه المصنفات مبلغاً ع
حيث الأهمية وكذلك من حيث العدد الزاخر ، فقد ذكر الحافظ الذهبى
المصنفات بلغت حوالى خمسمائة مجلد ، وذكر غير واحد أنها بلغت أربعة آلاف

*ومن هذه المؤلفات :

« الصارم المسلول على شاتم الرسول » و « رفع الملام عن الأئمة الأعلام »
تعارض العقل مع النقل » و « الإيمان » و « التوسل والوسيلة » و « نقض المنط
السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية » و « منهاج السنة » و « الفتاوى » » وقا
فى سبعة وثلاثين مجلداً .

*فتنته ووفاته:

بلغ شيخ الإسلام ابن تيمية مكانة عظيمة ، لا تدانيها مكانة أخرى عند العامة و
وذلك لورعه وعلمه وفضله ، كما أنه أظهر من الشجاعة مالا يقدر عليها غيره في
التتار ، فقد قرر بعض العلماء أن الشيخ كان السبب الأول بعد الله عز وجل ف
التتار وانتصار المسلمين عليهم ، فارتفعت منزلته عند الولاة والحكام كما ارتف
العامة ، لكن هذه الأحوال لم تعجب الحساد وأصحاب الأهواء وأرباب الفتن ،
على تأليب الولاة عليه واتهموه عندهم . لذلك لقى الشيخ من الفتن والمحن الكثي
ذلك فى سبيل نشر دعوة التوحيد ، وإعلاء كلمة الله وإحياء سنة رسول رب
والسموات ، فسجن رحمة الله عليه فى مصر كما سجن فى الشام ، ومع ذل
رحمه الله صابراً شاكراً .

وقد توفى رحمه الله سنة ٧٢٨ هـ فى السجن بدمشق ، وأخرج إلى جامع
فصلوا عليه ، فكان يوماً مشهوداً ، لم يعهد بدمشق مثله ، وبكى الناس بكاء ش
واشتد الزحام على نعشه ، ودفن بمقابر الصوفية بعد أن صلوا عليه ، ولقد بلغ من

جنازته حوالى مائتى ألف من الرجال ، وخمسة عشر ألفاً من النساء ، وهكذا تكون عاقبة المحسنين الطيبين ، يجعل الله لهم لسان صدق فى الناس ، وصدق الإمام أحمد رضى الله عنه فى حديث له مع أعدائه والحاقدين عليه : قولوا لأهل البدع ، بيننا وبينكم الجنائز » .

وقد رثاه رحمه الله خلق كثير ، من ذلك قصيدة الشيخ عمر بن الوردى ،

* **يقول :**

عثا فى عرضه قوم سِلاطُ ... لهم من نثر جوهره التقاطُ

تقى الدين أحمد خير حبر ... خَروق المعضلات به تخَاطُ

توفى وهو محبوس فريد ... وليس له إلى الدنيا انبساط

ولو حضروه حين قضى لألْفَوْا ... ملائكة النعيم به أحاطوا

* **ويقول :**

فيا لله ما قد ضم لحد ... ويالله ما غطى البلاط

هم حسدوه لما لم ينالوا ... مناقبه فقد مكروا وشاطوا

وكانوا عن طرائقه كسالى ... ولكن فى أذاه لهم نشاط

وحبس الدرفى الأصداف فخر ... وعند الشيخ فى السجن اغتباط

* **ويثنى على الشيخ ويقول :**

ألم يك فيكموا رجل رشيد ... يرى سجن الإمام فيستشاط

إمام لا ولاية كان يرجو ... ولا وقف عليه ولا رباط

ولا جاركمو فى كسب مال ... ولم يعهد له بكم اختلاط

* **ويقول :**

سيظهر قصدكم يا حابسيه ... وننبئكم إذا نصب الصراط

فها هو مات عنكم واسترحتم فعاطوا ما أردتم أن تعاطـــوا

وحلُّوا واعقدوا مـن غـير رد عليكم وانطوى ذاك البساط

فرحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية .

* * * *

⊗ تـوثـيـق الرسالـة ⊗

*هـــذه الرسالـــة

هذه الرسالة التى نقدمها إلى القارئ الكريم ، هى جزء من مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - من الجزء السابع والعشرين من ص ٦٤ - ١٠٥ ، وقد طبعت من قبل بالمطبعة الحسينية المصرية سنه ١٣٢٣ هـ .

ضمن مجموعة رسائل لشيخ الإسلام ، ابن تيمية .

هذا .. وقد عكفنا على مقابلة الطبعتين ، وتحقيق النص ، وتخريج الآيات والأحاديث الواردة بالرسالة قدر المستطاع .. والله نسأل أن ينفع بهذا العمل جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأن يجعله خالصاً لوجهه ...

وفى ميزان حسناتنا يوم الدين ... اللهم آمين .

قسم التحقيق بالدار .

****

بسم الله الرحمن الرحيم

(النص المحقق)

وسئل أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى

عمن يزور القبور ويستنجد بالمقبور فى مرض به، أو بفرسه ، أو بعيره ؛ يطلب إزالة المرض الذى بهم ، ويقول : يا سيدى ! أنا فى جيرتك ، أنا فى حَسْبِك (١) فلان ظلمنى ، فلان قصد أذيتى ، ويقول : إن المقبور يكون واسطة بينه وبين الله تعالى ؟

وفيمن ينذر للمساجد ، والزوايا والمشايخ - حيهم وميتهم - بالدراهم والإبل والغنم والشمع والزيت وغيرذلك ، يقول : إن سَلِمَ ولدى فللشيخ على كذا وكذا، وأمثال ذلك. وفيمن يستغيث بشيخه يطلب تثبيت قلبه من ذاك الواقع ؟

وفيمن يجىء إلى شيخه ويستلم القبر ويمرغ وجهه عليه، ويمسح القبر بيديه ، ويمسح بهما وجهه، وأمثال ذلك ؟ وفيمن يقصده بحاجته ، ويقول : يا فلان ! ببركتك ، أو يقول : قضيت حاجتى ببركة الله وبركة الشيخ ؟

وفيمن يعمل السماع ويجىء إلى القبر فيكشف ويحط وجهه بين يدى شيخه على الأرض ساجدا ؟

وفيمن قال : إن ثم قطباً غوثاً جامعاً (٢) فى الوجود ؟ أفتونا

---

(١) حَسْعب : من أحسبنى الشيء إذا كفانى ، قالت امرأة من بنى قشير.

ونُقْفِى وليد الحى إن كان جائعاً ونُحْسبه إن كان ليس بجائع

أى نعطيه حتى يقول حسبى . ومن ذلك قوله تعالى ﴿ **يأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين** ﴾ قال الفراء : جاء التفسير يكفيك الله ، ويكفى من اتبعك . وكذلك قال أبو العباس . انظر لسان العرب (٣١٢/١) . دار صادر

(٢) « قطبًا غوثا جامعا » ، قال المؤلف رحمه الله عن هذه الألقاب المخترعة : « أما الأسماء على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل « الغوث » الذى بمكة ، « الأوتار الأربعة » و « والأقطاب السبعة » و « والأبدال الأربعين » و « النجباء الثلاثمائة : فهذه الأسماء ليست موجودة فى كتاب الله تعالى ، ولا هى أيضا مأثورة عن النبى ﷺ - بإسناد صحيح ولا ضعيف يحمل عليه ألفاظ الأبدال ... ولا توجد هذه الأسماء فى كلام السلف ، كما هى مأثورة على هذا الترتيب =

مأجورين ، وابسطوا القول فى ذلك .

فأجاب :

الحمد لله رب العالمين ، الدين الذى بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو عبادة الله وحده لا شريك له ، واستعانته ، والتوكل عليه ، ودعاؤه لجلب المنافع ، ودفع المضار ، كما قال تعالى : ﴿ **تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ، إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ، فاعبد الله مخلصا له الدين ، ألا لله الدين الخالص . والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون** (١) وقال تعالى :

﴿ **وأن المساجد لله ، فلا تدعوا مع الله أحدا** ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿ **قل : أمر ربى بالقسط ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، وادعوه مخلصين له الدين** ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ **قل : ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه ؛ إن عذاب ربك كان محظورا** ﴾(٤) قالت طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة ، قال الله تعالى : هؤلاء الذين تدعونهم عبادى كما أنتم عبادى ، ويرجون رحمتى كما ترجون رحمتى ، ويخافون عذابى كما تخافون عذابى ، ويتقربون إلىّ كما تتقربون .

فإن كان هذا حال من يدعو الأنبياء والملائكة فكيف بمن دونهم ؟ !

وقال تعالى : ﴿ **أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء ؟ إنا أعتدنا**

= والمعانى عن المشايخ المقبولين عم الأمة قبولا عاماً ؛ وإنما نجد على هذه الصورة عن بعض المتوسطين من المشايخ ، وقد قالها إمَّا آثرًا لها عن غيره أو ذاكرًا .. » وقال أيضا : « فأما (لفظ الغوث والغياث) فلا يستحقه إلا الله فهو غياث المستغيثين فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره ، لا بملك مقرب ولا نبى مرسل » راجع فى ذلك كتاب « الفتاوى للمؤلف » (١١/ ٤٣٣) .

(١) سورة الزمر / ١ ـ ٣ .　　(٢) سورة الجن / ١٨

(٣) سورة الأعراف / ٢٩ .　　(٤) سورة الإسراء / ٥٦، ٥٧

جهنم للكافرين نزلا ﴾ [١] وقال تعالى : **﴿ قل : ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، وما لهم فيهما من شرك ، وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾** [٢] .فبين سبحانه أن من دعى من دون الله من جميع المخلوقات من الملائكة والبشر وغيرهم أنهم لا يملكون مثقال ذرة فى ملكه، وأنه ليس له شريك فى ملكه ، بل هو سبحانه له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، وأنه ليس له عون يعاونه كما يكون للملك أعوان وظهراء [٣] وأن الشفعاء عنده لا يشفعون إلا لمن ارتضى ، فنفى بذلك وجوه الشرك .

وذلك أن من يدعون من دونه ! إما أن يكون مالكا ، وإما أن لا يكون مالكا ، وإذا لم يكن مالكًا فإما أن يكون شريكاً ، وإما أن لا يكون شريكاً ، وإذ لم يكن شريكافإما أن يكون معاونا وإما أن يكون سائلاً طالباً ، فالأقسام الأول الثلاثة وهى : الملك والشركةوالمعا ونة منتفية ، وأما الرابع فلا يكون إلا من بعد إذنه كما قال تعالى : **﴿ من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ﴾** [٤] وكما قال تعالى : **﴿ وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾** [٥] وقال تعالى : **﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ؟! قل : لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ﴾** [٦] وقال تعالى : **﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع ، أفلا تتذكرون ؟! ﴾** [٧] وقال تعالى **﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون ﴾** [٨] وقال تعالى : **﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله . ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب ، وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ، أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾** [٩] فإذا جعل من اتخذ الملائكة والنبيين أربابا كافراً ، فكيف من اتخذ من دونهم من المشايخ

---

(١) الكهف / ١٠٢ . (٢) سورة سبأ / ٢٢، ٢٣.

(٣) ظهراء : أعوان ، ومنه قوله تبارك وتعالى ﴿ والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾

(٤) سورة البقرة/ ٢٥٥. (٥) سورة النجم /٢٦.

(٦) سورة الزمر /٤٢, ٤٣. (٧) سورة السجدة /٤.

(٨) سورة الأنعام /٥١. (٩) سورة آل عمران /٧٩، ٨٠

وغيرهم أرباباً؟!

(مالا يقدر عليه إلا الله لا يجوز أن يطلب إلا منه)(*)

وتفصيل القول : أن مطلوب العبد إن كان من الأمور التى لا يقدر عليها إلا الله تعالى ؛ مثل أن يطلب شفاء مريضه من الآدميين والبهائم ، أو وفاء دين من غير جهة معينة ، أو عافية أهله ، وما به من بلاء الدنيا والآخرة ، وانتصاره على عدوه ، وهداية قلبه ، وغفران ذنبه ، أو دخوله الجنة ، أو نجاته من النار أو أن يتعلم العلم والقرآن ، أو أن يصلح قلبه ، ويحسن خلقه ويزكى نفسه ، وأمثال ذلك ، فهذه الأمور كلها لا يجوز أن تطلب إلا من الله تعالى ، ولا يجوز أن يقول لملك ولا نبى ولا شيخ - سواء كان حيا أو ميتا - اغفر ذنبى ولا انصرنى على عدوى ، ولا اشف مريضى ، ولا عافنى أو عاف أهلى أو دابتى وما أشبه ذلك . ومن سأل ذلك مخلوقا كائنا من كان فهو مشرك بربه ، من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتماثيل التى يصورونها على صورهم ، ومن جنس دعاء النصارى للمسيح وأمه، قال الله تعالى : ﴿ **وإذقال الله لعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله** ﴾ (١) الآية ، وقال تعالى : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً ، لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون** ﴾ (٢).

(ما يقدر عليه العبد يجوز أن يطلب منه فى بعض الأحوال)(*)

وأما ما يقدر عليه العبد فيجوز أن يطلب فى بعض الأحوال دون بعض ؛ فإن « مسألة المخلوق » قد تكون جائزة ، وقد تكون منهيا عنها قال الله تعالى : ﴿ **فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب** ﴾ (٣) وأوصى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ابن عباس « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » (٤) وأوصى النبى صلى الله عليه وآله وسلم طائفة من أصحابه : أن لا يسألوا الناس شيئا ، فكان سوط أحدهم يسقط من كفه فلا يقول لأحد

(*) زيادة من المحقق

(١) سورة لمائدة / ١١٦.

(*) ذيادة من المحقق

(٢) سورة التوبة ٣١ .

(٣) سورة الشرح/ ٨.٧ .

(٤) حديث إسناده صحيح : أخرجه أحمد (١/ ٣٠٧) ١٠/ ٢٩٣) (٣٠٣) والترمذى (٢٥١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا

ناولني إياه ، وثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب ، وهم الذين لا يسترقون ، ولا يكتوون . ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » (١) والاسترقاء طلب الرقية .، وهو من أنواع الدعاء ، ومع هذا فقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ما من رجل يدعو له أخوه بظهر الغيب دعوة إلا وكل الله بها ملكا كلما دعا لأخيه دعوة قال الملك : ولك مثل ذلك » (٢) ومن المشروع في الدعاء دعاء غائب لغائب ، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة عليه وطلبنا الوسيلة له ، وأخبر بما لنا في ذلك من الأجر إذا دعونا بذلك ، فقال في الحديث : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على فإن من صلي علي مرة صلى الله عليه عشرا ، ثم اسألوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد . فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة » (٣)

(طلب الدعاء من الحي)

ويشرع للمسلم أن يطلب الدعاء ممن هو فوقه وممن هو دونه ، فقد روى طلب الدعاء

---

(١) حديث صحيح / أخرجه البخاري (٨/١٢٤) ومسلم (١/١٩٧/ عبد الباقي) وأحمد (١/٣٢١)(٢/٣٥١) والترمذي (٢٠٥٦) وابن ماجه (٣٤٨٩) والبيهقي (٩/٣٤١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٣٢) وأبو داود (١٥٣٤) وأحمد (٦/٤٥٢) وابن أبي شيبة (١٠/١٩٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعا .

(٣) حديث صحيح : جاء من حديث جابر وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهم . أولا : حديث جابر : أخرجه البخاري (١/١٥٢) والنسائي (٢/٢٧) وأبو داود (٥٢٩) وأحمد (٣/٣٥٤) وابن ماجة (٧٢٢) والترمذي (٢١١) والطبراني في الصغير (١/٣٤٠) وفي الدعاء (٤٣٠) . ثانيا : حديث أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري (١/١٥٢) ومسلم (٣٨٣) والترمذي (٢٠٨) وأبو داود (٥٢٢) والنسائي (٢/٣٢) وعبد الرزاق (١/٤٧٨) وابن أبي شيبة (١/٢٢٧) والبيهقي (١/٤٠٨) وأحمد (٣/٦) . ثالثا : حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه مسلم (٣٨٤) وأبو داود (٥٢٣) والترمذي (٣٦١٩) والنسائي (٦٧٩) .

من الأعلى والأدنى ، فإن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ودع عمر إلى العمرة ، وقال : « لا تنسنا من دعائك ياأخى ».(١) لكن النبى ﷺ لما أمرنا بالصلاة عليه وطلب الوسيلة له ذكر أن من صلى عليه مرة صلى الله بها عليه عشرا ، وأم من سأل له الوسيلة حلت له شفاعته يوم القيامة ، فكان طلبه منا لمنفعتنا في ذلك ، وفرق بين من طلب من غيره شيئاً لمنفعة المطلوب منه ، ومن يسأل غيره لحاجته إليه فقط ، وثبت فى الصحيح أنه ﷺ ذكر أويسا القرنى وقال لعمر : « إن استطعت أن يستغفر لك فافعل » (٢) وفى الصحيحين أنه كان بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما شيء فقال أبو بكر لعمر استغفر لى ، لكن فى الحديث أن أبا بكر ذكر أنه حنق (٣) على عمر ، وثبت أن أقواماً كانوا يسترقون ، وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يرقيهم.

وثبت فى الصحيحين أن الناس لما أجدبوا سألوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يستسقى لهم فدعا الله لهم فسقوا ، وفى الصحيحين أيضا : أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ استسقى بالعباس فدعا ، فقال : « اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون (٤) .

وفى السنن أن أعرابيا قال للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : جهدت الأنفس ، وجاع

---

(١) حديث إسناده ضعيف : أخرجه أبو داود (١٤٩٨) والترمذى (٣٥٥٧) وابن ماجة (٢٨٩٤) والبيهقي (٥/٢٥١) من طريق عاصم بن عبيد الله عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن عمر رضى الله عنه قلت : وإسناده ضعيف من أجل عاصم بن عبيد الله فإنه ضعيف .

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم (٤/١٩٦٩ عبد الباقى) من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرفوعا

(٣) [حنق عليه : اشتد غيظه ، والحَنِقَ شدة الاغتياظ ، قال الشاعر : ولىّ جميعاً ينادى ظله طلقا ثم انثنى مَرِساً قد آدهُ الحَنِقَ انظر لسان العرب (١٠/٦٩) ط دار صادر.

(٤) حديث صحيح لم أقف عليه فى صحيح مسلم وأخرجه البخارى (١٠١٠) وابن حبان (٢٨٥٠/ احسان) من حديث أنس رضى الله -عنه

العيال ، وهلك المال فادع الله لنا ، فإنا نستشفع بالله عليك (١) وبك على الله (٢) فسبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ، وقال : « ويحك ؟! إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك » (٣) فأقره على قوله إنا نستشفع بك على الله . وأنكر عليه نستشفع بالله عليك ؛ لأن الشافع يسأل المشفوع إليه ، والعبد يسأل ربه ويستشفع به

(زيارة القبور المشروعة)(*)

«وأما زيارة القبور المشروعة » فهو أن يسلم على الميت ، ويدعو له بمنزلة الصلاة على جنازته . كما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا : « سلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم » (٤) وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا

---

(١) أي نجعل الله شفيعا لنا عندك . وهذا لا يجوز في حق الله تعالي ولذلك أنكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) أي نجعلك شفيعا لنا عند الله ، وهذا يجوز ولكن بضوابطه الشرعية التي نص عليها العلماء ، ولهذا أقره النبي ﷺ انظر في ذلك كتاب التوسل أنواعه وحكمه ، للشيخ الألباني .

(٣) حديث صحيح : أخرجه البخاري (١٠١٢) ومسلم (١٥٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعا .

(*) زيادة من المحقق

(٤) حديث صحيح : جاء من حديث أبي هريرة وبريدة و عائشة رضي الله عنهم

أولا : حديث أبي هريرة أخرجه مسلم (٢١٨/١) عبد الباقي ومالك (٢٨) وأبو داود (٣٢٣٧) والنسائي (٣٥/١) وابن السني (١٨٩) وأحمد (٢/ ٣٠٠و ٣٧٥ و ٤٠٨)

ثانيا: حديث بريدة أخرجه مسلم (٩٧٥) والنسائي (٢٨٧/١) وابن ماجه (١٥٤٧) وابن أبي شيبة (١٣٨/٤) وابن السني (٥٨٢) وأحمد (٣٥٣/٥، ٣٥٩- ٣٦٠)

ثالثا : حديث عائشة أخرجه مسلم (٩٧٤) والنسائي (١ / ٢٨٦) وابن السني (٥٩٢) وأحمد (١٨٠/٦) .

فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتي يرد عليه السلام» (١) والله تعالى يثيب الحى إذا دعا للميت المؤمن ، كما يثيبه إذا صلى على جنازته ؛ ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يفعل ذلك بالمنافقين ، فقال عز من قائل : ﴿ **ولاتصل على أحد منهم مات أبدا ، ولا تقم على قبره** ﴾ (٢) فليس فى الزيارة الشرعية حاجة الحى إلى الميت ، ولا مسألته ، ولا توسله به ؛ بل فيها منفعة الحى للميت ، كالصلاة عليه ، والله تعالى يرحم هذا بدعاء هذا وإحسانه إليه ، ويثيب هذا على عمله ، فإنه ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث** ؛ صدقة جارية ، أو علم ينتفع به من بعده أو ولد صالح يدعو له »(٣).

* * * *

---

(١) عزاه الهندى فى الكنز إلى تمام والخطيب وابن عساكر وابن النجار عن أبى هريرة رضى الله عنه وقال سنده جيد .

(٢) سورة التوبة / ٨٤ .

(٣) حديث صحيح أخرجه مسلم (١٦٣١) وأحمد (٣٧٢/٢) والبيهقى (٢٧٨/٦) والبغوى فى شرح السنة (١/ ٣٠٠) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً .

فصل

(أقسام سؤال الناس للمقبور) (*)

وأما من يأتي إلى قبر نبي أو صالح ، أو من يعتقد فيه أنه قبر نبي أو رجل صالح وليس كذلك ، ويسأله ويستنجده فهذا على ثلاث درجات .

(١) (أن يسأله حاجته ويطلب منه الفعل) (*)

(**إحداها**) : أن يسأله حاجته ، مثل أن يسأله أن يزيل مرضه ، أو مرض دوابه ، أو يقضي دينه ، أو ينتقم له من عدوه ، أو يعافي نفسه وأهله ودوابه ، ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا اللّه عز وجل ، فهذا شرك صريح ، يجب أن يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل .
وإن قال أنا أسأله لكونه أقرب إلى اللّه مني ليشفع لي في هذه الأمور ؛ لأني أتوسل إلى اللّه به ، كما يتوسل إلى السلطان بخواصه وأعوانه ، فهذا من أفعال المشركين والنصارى ، فإنهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم ، وكذلك أخبر اللّه عن المشركين أنهم قالوا : ﴿ **مانعبدهم إلا ليقربونا إلى اللّه زلفى** ﴾(١) وقال سبحانه وتعالى ﴿ **أم اتخذوا من دون اللّه شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون . قل للّه الشفاعة جميعا ، له ملك السموات والأرض ، ثم إليه ترجعون** ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ **مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون** ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ **من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ (٤) فبين الفرق بينه وبين خلقه ، فإن من عادة الناس أن يستشفعوا إلى الكبير من كبرائهم بمن يكرم عليه ، فيسأله ذلك الشفيع ، فيقضي حاجته ؛ إما رغبة ، وإما رهبة ، وإما حياء وإما مودة ، وإما غير ذلك ، واللّه سبحانه لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع ، فلا يفعل إلا ماشاء ، وشفاعة

(*) زيادة من المحقق .

(١) سورة الزمر / ٣ .   (٢) سورة الزمر / ٤٣ ، ٤٤ .   (٣) سورة السجدة / ٤

(٤) سورة البقرة / ٢٥٥ .

الشافع من إذنه ، فالأمر كله له . ولهذا قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة رضى الله عنه : « **لا يقولن أحدكم : اللهم اغفرلى إن شئت ، اللهم ارحمنى إن شئت ، ولكن ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له** » (١) . فبين أن الرب سبحانه يفعل ما يشاء لا يكرهه أحد على ما اختاره ، كما قد يكره الشافع المشفوع إليه ، وكما يكره السائل المسؤول إذا ألح عليه وآذاه بالمسألة ، فالرغبة يجب أن تكون إليه كما قال تعالى : ﴿ **فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب** ﴾ (٢) والرهبة تكون من الله كما قال تعالى : ﴿ **وإياى فارهبون** ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ **فلاتخشوا الناس واخشون** ﴾ (٤) وقد أمرنا أن نصلى على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الدعاء ، وجعل ذلك من أسباب إجابة دعائنا .

وقول كثير من الضلال : هذا أقرب إلى الله منى ، وأنا بعيد من الله لا يمكننى أن أدعوه إلا بهذه الواسطة ، ونحو ذلك من أقوال المشركين ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ (٥) وقد روى : أن الصحابة قالوا يارسول الله : ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله هذه الآية .

وفى الصحيح أنهم كانوا فى سفر وكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « **يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً بل تدعون سميعاً قريبا إن الذى تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته** » (٦) وقد أمر الله تعالى العباد كلهم بالصلاة له ومناجاته وأمر كلاً منهم أن يقولوا ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ (٧) وقد أخبر عن المشركين أنهم قالوا ﴿ **مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ (٨).

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البخارى (٨/٩٢) ومسلم (٣٦٧٨) وأبو داود (١٤٨٣) والترمذى ٣٤٩٢) وابن ماجة (٣٨٥٤) والنسائى فى اليوم والليلة (٥٨٨) من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه مرفوعاً

(٢) سورة الشرح /٧٧،٨.
(٣) سورة البقرة /٤٠ .
(٤) سورة المائدة/ ٤٤.
(٥) سورة البقرة /١٨٦ .
(٦) حديث صحيح : أخرجه البخارى (٤/٦٩) ومسلم (٢٧٠٤) وأبو داود (١٥٣٨) والترمذى (٣٣٧١) وابن ماجة(٣٨٣٤) من حديث أبى موسى رضى الله عنه مرفوعاً
(٧) سورة الفاتحة / ٥ .
(٨) سورة الزمر/ ٣ .

ثم يقال لهذا المشرك أنت إذا دعوت هذا فإن كنت تظن أنه أعلم بحالك ، وأقدر على عطاء سؤالك ، أوأرحم بك ، فهذا جهل وضلال وكفر ، وإن كنت تعلم أن الله أعلم وأقدر وأرحم فلم عدلت (١) عن سؤاله إلى سؤال غيره ؟ ألا تسمع إلى ما خرجه البخاري وغيره عن جابر رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور ، كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : إذا هم أحدكم بأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم : إنى أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى ، وعاقبة أمرى ،فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى ، وعاقبة أمرى ، فاصرفه عنى ، واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم أرضنى به ـ قال ـ ويسمى حاجته (٢) » أمر العبد أن يقول : أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم .

وإن كنت تعلم أنه أقرب إلى الله منك وأعلى درجة عند الله منك فهذا حق ؛ لكن كلمة حق أريد بها باطل ؛ فإنه إذا كان أقرب منك وأعلى درجة منك فإنما معناه أن يثيبه ويعطيه أكثر مما يعطيك ، ليس معناه أنك إذا دعوته كان الله يقضى حاجتك أعظم مما يقضيها إذا دعوت أنت الله تعالى ، فإنك إن كنت مستحقا للعقاب ورد الدعاء ـ مثلا لما فيه من العدوان ـ فالنبى والصالح لا يعين على ما يكرهه الله ، ولا يسعى فيما يبغضه الله ، وإن لم يكن كذلك فالله أولى بالرحمة والقبول .

(٢) (أن يطلب منه أن يدعو له) (*)

وإن قلت : هذا إذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيبه إذا دعوته ، فهذا هو « القسم الثانى » وهوأن تطلب منه الفعل ولا يدعوه ولكن تطلب أن يدعو لك ، كما تقول للحى : ادع لى ، وكما كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يطلبون من النبى صلى

---

(١) عدلت : بمعنى ملت .

(٢) حديث صحيح:أخرجه البخارى (٣/ ٤٠) وأبو داود (١٥٣٨) والترمذى (٤٨٠) والنسائى (٣٢٥٥) وابن ماجة (١٣٨٣) وأحمد (٣/ ٣٤٤) والبيهقى (٣/ ٥٢) من حديث جابر رضى الله عنه مرفوعاً

الله عليه وآله وسلم الدعاء ، فهذا مشروع في الحي كما تقدم ، وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول : ادع لنا ، ولا اسأل لنا ربك ، ولم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين ، ولا أمر به أحد من الأئمة ، ولا ورد فيه حديث ، بل الذى ثبت فى الصحيح أنهم لما أجدبوا زمن عمر - رضى الله عنه - استسقى بالعباس ، وقال : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا (١) ولم يجيئوا إلى قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم قائلين : يارسول الله ! ادع الله لنا واستسق لنا ، ونحن نشكو إليك مما أصابنا ، ونحو ذلك لم يفعل ذلك أحد من الصحابة قط ، بل هو بدعة ، ما أنزل الله بها من سلطان ، بل كانوا إذ جاءوا عند قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم يسلمون عليه ، فإذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلى القبر الشريف ، بل ينحرفون ويستقبلون القبلة ، ويدعون الله وحده لا شريك له كما يدعونه فى سائر البقاع .

(نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد)(*)

وذلك أن فى « الموطأ» وغيره عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » (٢) وفى السنن عنه أنه قال« لاتتخذوا قبرى عيدا، وصلوا علىّ حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغنى » (٣) وفى الصحيح أنه قال فى مرضه الذى لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » (٤) يحذر مافعلوا .قالت عائشة رضى الله عنها وعن أبويها : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجدا ، وفى صحيح مسلم عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال قبل أن يموت بخمس :

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (١٠١٠) وابن حبان (٢٨٥٠) إحسان) من حديث أنس رضى الله عنه

(*) ذيادة من المحقق

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه مالك فى الموطأ (١/١٨٥) عن عطاء بن يسار مرفوعا، قلت : وهذا مرسل صحيح وقد جاء أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا . أخرجه أحمد (٢/٢٤٦) والحميدى (١٠٢٥) وأبو نعيم فى الحلية (٦/ ٢٨٣و٧/٣١٧.) قلت ؛ وإسناده صحيح

(٣) **حديث صحيح** : أخرجه أبو داود (٢٠٤٢) وأحمد (٢/٣٦٧) عن طريق عبد الله بن نافع أخبرنى ابن أبى ذئب ، عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا ،قلت: وإسناده صحيح

(٤) **حديث صحيح** :أخرجه البخارى (٣/١٥٦و١٩٨) ومسلم (١/٣٧٧) عبد الباقى) والبغوى فى شرح السنة » (١/٤١٥) من حديث عائشة رضى الله عنها مرفوعاً . .

« إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك » (١) وفي سنن أبي داود عنه قال : « لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ».(٢) .

(فتوى في بناء المساجد على القبور ، والنذر لها) (*)

ولهذا قال علماونا لا يجوز بناء المساجد على القبور ، وقالوا : إنه لا يجوز أن ينذر لقبر ، ولا للمجاورين عند القبر شيئاً من الأشياء، لا من درهم ، ولا من زيت ، ولا من شمع ، ولا من حيوان ، ولا من غير ذلك، كله نذر معصية ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه »(٣) واختلف العلماء : هل على الناذر كفارة يمين ؟ على قولين ، ولهذا لم يقل أحد من أئمة السلف : إن الصلاة عند القبور وفي مشاهد القبور مستحبة ، أو فيها فضيلة ، ولا أن الصلاة هناك والدعاء أفضل من الصلاة في غير تلك البقعة والدعاء ؛ بل اتفقوا كلهم على أن الصلاة في المساجد والبيوت أفضل من الصلاة عند القبور - قبور

---

(١) حديث صحيح : أخرجه مسلم (٥٣٢) وأبو عوانة (١/٤٠١) والطبراني في « الكبير » (٢/١٦٨) من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعا .

(٢) إسناده ضعيف : أخرجه أبو داود (٣٢٣٦) والترمذي (٣٢٠) والنسائي (٢٠٤٥) والحاكم (١/٣٧٤) وأحمد البيهقي (٤/٧٨) من طريق محمد بن جحادة قال سمعت أبا صالح يحدث عن ابن عباس فذكره قلت : وإسناده ضعيف من أجل أبي صالح باذام فإنه ضعيف ولكن قد جاء غالب الحديث عن طرق آخرى فلعن « زائرات القبور » جاء من حديث حسان بن ثابت عند ابن ماجة والحاكم والبيهقي وأحمد « لعن المتخذين على القبور مساجد » متواتر عنه ﷺ في الصحيحين كما تقدم ولكن « لعن المتخذين عليها السرج » لا يثبت . وانظر السلسلة الضعيفة لشيخنا الألباني حفظه الله (٢٢٥)

(*) زيادة من المحق

(٣) حديث صحيح : أخرجه البخاري (٨/١٧٧) وأبو داود (٣٢٨٩) والترمذي (١٥٢٦) والنسائي (٣٨٣٩) وابن ماجة (٢١٢٦) وأحمد (٦/٣٦) والبيهقي (٩/٢٣١)من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً .

الأنبياء والصالحين ـ سواء سميت « مشاهد » أو لم تسم.

وقد شرع الله ورسوله في المساجد دون المشاهد أشياء، فقال تعالى ﴿ **ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها** ﴾ (١) ولم يقل المشاهد، وقال تعالى ﴿ **وأنتم عاكفون في المساجد** ﴾ (٢). ولم يقل: المشاهد، وقال تعالي: ﴿ **قل أمر ربي بالقسط، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد** ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين** ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا** ﴾ (٥) وقال صلى الله عليه وآله وسلم « صلاة الرجل في المسجد تفضل على صلاته في بيته وسوقه بخمس وعشرين ضعفا» (٦) وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتًا في الجنة » (٧).

وأما القبور فقد ورد نهيه صلى الله عليه وآله وسلم من اتخاذها مساجد، ولعن من يفعل ذلك وقد ذكره غير واحد من الصحابة والتابعين، كما ذكره البخاري في صحيحه، والطبراني وغيره في تفاسيرهم وذكره وثيمة وغيره في « قصص الأنبياء » في قوله تعالى: ﴿ **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا** ﴾ (٨). قالوا: هذه أسماء قوم صالحين كانوا من قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم طال عليهم الأمد فاتخذوا تماثيلهم أصناما ؟ وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها وفيها ونحو ذلك هو أصل الشرك وعبادة الأوثان ؛

---

(١) سورة البقرة / ١١٤.

(٢) سورة البقرة / ١٨٧.

(٣) سورة الأعراف / ٢٩.

(٤) سورة التوبة / ١٨.

(٥) سورة الجن /١٨.

(٦) **حديث صحيح**: أخرجه البخاري (١/١٦٦)، مسلم ٢٧٢٠) وأبو داود (٥٥٩) والترمذي (٣٣٠) وابن ماجة (٧٨٦) والدراس (١/١٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٧) **حديث صحيح**: أخرجه البخاري (١/٥٤٤/فتح) و مسلم (١/ ٣٧٨) من حديث عثمان رضى الله عنه مرفوعاً

(٨) سورة نوح/٢٣.

(٩) تقدم تخريجه

ولهذا قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد . (٩).

واتفق العلماء على أن من زار قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين ـ الصحابة وأهل البيت وغيرهم ـ أنه لا يتمسح به ، ولا يقبله ؛ بل ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود ، وقد ثبت فى الصحيحين ، أن عمر رضى الله عنه قال : والله ! إنى لأعلم أ نك حجر لاتضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبلك ماقبلتك (١).

ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يقبل الرجل أو يستلم ركنى البيت ـ اللذين يليان الحجر ـ ولا جدران البيت ، ولا مقام إبراهيم ، ولا صخرة بيت المقدس ، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين . حتى تنازع الفقهاء في وضع اليد على منبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لما كان موجودا ، فكرهه مالك وغيره ؛ لأنه بدعة ، وذكر أن مالكاً لما رأى عطاء (٢) فعل ذلك لم يأخذ عنه العلم ، ورخص فيه أحمد وغيره ؛ لأن ابن عمر رضي الله عنهما فعله . أما التمسح بقبر النبى صلى الله عليه و آله وسلم وتقبيله فكلهم كره ذلك ونهى عنه ؛ وذلك لأنهم علموا ما قصده النبى صلى الله عليه وآله وسلم من حسم مادة الشرك ، وتحقيق التوحيد وإخلاص الدين لله رب العالمين .

وهذا مايظهر الفرق بين سؤال النبى صلى الله عليه وآله وسلم والرجل الصالح في حياته ، وبين سؤاله بعد موته و فى مغيبه ؛ وذلك أنه في حياته لا يعبده أحد بحضوره ، فإذا كان الأنبيا ء ـ صلوات الله عليهم والصالحون أحياء لا يتركون أحداً يشرك بهم بحضورهم ؛ بل ينهونهم عن ذلك ، ويعاقبونهم عليه ولهذا قال المسيح عليه السلام ﴿ **ما قلت لهم إلا ماأمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد** ﴾ (٣) وقال رجل

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البخارى (١٦١٠) ومسلم (١٢٧٠)

(٢) هو عطاء ابن أبى رباح الإمام شيخ الإسلام مفتى الحوم ، أبو محمد القرشي ، يقال إنه ولد بالجند ، ونشأ بمكة ، وقد ولد أثناد خلافة عثمان رضى الله عنه ـ سنة ـ٢٧ هـ ، وتوفى بمكة سنة ١١٤ه على الراجح .

روى عبد الحميد الحمامى عن أبى حنيفة قال : ما رأيت فيمن لقيت أفضل من عطاء بن أبى رباح ...» انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء (٥/٧٨) ، صفه الصفوة (٢/٢١١) الأعلام (٤/٢٣٥)

(٣)سورة المائد / ١١٧

للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : ما شاء الله وشئت ، فقال : « أجعلتنى لله نداً ؟! ما شاء الله وحده (١) وقال : « لا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد » (٢) ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد ولما قالت الجويرية : وفينا رسول الله يعلم مافى غد قال « دعى هذا ، قولى بالذي كنت تقولين » (٣) وقال لا تطرونى كما أطرت النصارى بن مريم ؛ إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله » (٤) ولما صفوا خلفه قياما . قال « لا تعظمونى كما تعظم الأعاجم بعضهم بعضاً » (٥) وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى

---

(١) **حديث إسناده حسن** : أخرجه ابن ماجة (٢١١٧) وأحمد (١/٢١٤) من طريق الأجلح الكندى عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس رضى الله عنهما عنه مرفوعا قلت : وإسناده حسن من أجل الأجلح وهو ابن عبد الله الكندى وهو صدوق إن شاء الله تعالى كما قال الذهبي

(٢) **حديث إسناده صحيح** : أخرجه ابن ماجة (٢١١٨) وأحمد (٥/٣٩٣) من طريق عبد الله بن يسار عن حذيفة رضى الله عنه مرفوعا وتابع عبد الله بن يسار ربعى بن حراش أخرجه أبو داود (٨٠-٤٩) وأحمد (٥/٣٨٤ر ٣٩٤ر ٣٩٨) والبيهقى (٣/ ٢١٦)

(٣) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (٢/٣٠٢ر ٩/١٦٦ - ١٦٧) وأحمد (٦/٣٥٩-٣٦٠) والبيهقى(٧/٢٨٨-٢٨٩) من حديث الربيع بنت معوذ رضي الله عنها.

(٤) حديث صحيح أخرجه البخارى (٦/٣٥٤ و ٣٥٥) وأحمد (١/٢٣ / ٢٤) والبغوى فى شرح السنة (١٣/ ٢٤٦) من حديث عمر رضى الله عنه مرفوعا .

(٥) إسناده ضعيف : أخرجه أبو داود (٥٢٣٠) وأحمد (٥/٢٥٣) والطبرانى فى « الكبير » . (٨/٣٣٤) من طريق مسعر عن أبى العنبسى عن أبى العديسى عن أبى مرزوق عن أبى غالب عن أبى أمامة رضى الله عنه مرفوعا بلفظ (لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً . قلت: وهذا إسناده ضعيف مسلسل بالعلل الأولى : أبو العنبسى قال ابن حجر مقبول أى إذا توبع وإلا فلين . الثانية : أبو العدبسى : مجهول الثالثة : أبو مرزوق لين الرابعة : أبو غالب صدوق يخطىء كما قال ابن حجر .

ثم إنه قد رواه ابن ماجه (٣٨٣٦) من طريق مسعر عن أبى مرزوق عن أبى وائل عن أبى أمامة الباهلى مرفوعاً . قلت : وهذا إسناد ضعيف أيضا وهو يدل على اضطراب الحديث فإنه قد سقط من هذا الإسناد أبو العنبسى وأبو العديس وأبو غالب ، وزادهنا أبا وائل وهذا اضطراب بلا شك .

الله عليه وآله وسلم ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له ؛ لما يعلمون من كراهته لذلك . ولما سجد له معاذ نهاه وقال : « **إنه لا يصلح السجود إلا لله ولو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ـ من عظم حقه عليها**[1] ولما أتي على بالزنادقة الذين غلوا فيه ، واعتقدوا فيه الإلهية ، أمر بتحريقهم بالنار .

فهذا شأن أنبياء الله وأوليائه ، وإنما يقر على الغلو فيه وتعظيمه بغير حق من يريد علواً في الأرض وفساداً ؛ كفرعون ونحوه ، ومشائخ الضُّلال الذين غرضهم العلو في الأرض والفساد ، والفتنة بالأنبياء والصالحين واتخاذهم أرباباً والإشراك بهم مما يحصل في مغيبهم وفي مماتهم ، كما أشرك بالمسيح وعزير .

فهذا مما يبين الفرق بين سؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصالح في حياته وحضوره ، وبين سؤاله في مماته ومغيبه ، ولم يكن أحد من سلف الأمة في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين يتحرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء ويسألونهم ، ولا يستغيثون بهم ؛ لافي مغيبهم ، ولا عند قبورهم ، وكذلك العكوف .

ومن أعظم الشرك أن يستغيث الرجل بميت أو غائب ، كما ذكره السائل ، ويستغيث به عند المصائب يقول : ياسيدي فلان ! كأنه يطلب منه إزالة ضره أو جلب نفعه ، وهذا حال النصارى في المسيح وأمه وأحبارهم ورهبانهم ، ومعلوم أن خير الخلق وأكرمهم على الله نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأعلم الناس بقدره وحقه أصحابه ، ولم يكونوا يفعلون شيئاً من ذلك ؛ لا في مغيبه، ولا بعد مماته .

---

(١) اسناده ضعيف والحديث صحيح : أخرجه أحمد (٥/٢٢٧) وابن أبي شيبة في المصنف (٤/٣٠٥) ثنا وكيع ثنا الأعمش عن أبي ظبيان

قلت : وهذا إسناد رجاله ثقات لكن أبو ظبيان لم يسمعه من معاذ فإنه لم يلق معاذ كما قال ابن حزم ولم يدركه ثم إن أحمد وابن أبي شيبة قالا : ثنا ابن .. (ناالأعمش عنى أبي ظبيان عن رجل من الأنصار عن معاذ بن جبل به .

فأنقطع الحديث بين أبي ظبيان ومعاذ وأن الواسطة بينهما رجل مجهول لم يسمه . أفاده الشيخ الألباني ولكن الحديث قد صح عن عدة من الصحابة منهم أبو هريرة وأنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى فيصح الحديث بذلك إن شاء الله تعالى .

وهؤلاء المشركون يضمون إلى الشرك الكذب ؛ فإن الكذب مقرون بالشرك ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين** (١) ﴾ وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « عدلت شهادة الزور الإشراك بالله . مرتين ، أو ثلاثاً (٢) » وقال تعالى ﴿ **إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم ، وذلة فى الحياة الدنيا ، وكذلك نجزى المفترين** ﴾ (٣) وقال الخليل عليه السلام : ﴿ **أإفكا آلهة دون الله تريدون ؟ فما ظنكم برب العالمين** ﴾ (٤).

فمن كذبهم أن أحدهم يقول عن شيخه : إن المريد إذا كان بالمغرب وشيخه بالمشرق وانكشف غطاؤه رده عليه ، وإن الشيخ إن لم يكن كذلك لم يكن شيخاً

وقد تغويهم الشياطين ، كما تغوى عباد الأصنام كما كان يجرى فى العرب فى أصنامهم ، ولعباد الكواكب وطلاسمها من الشرك والسحر ، كما يجرى للتتار ، والهند ، والسودان ، وغيرهم من أصناف المشركين ؛ من إغواء الشياطين ومخاطبتهم ونحو ذلك .

فكثير من هؤلاء قد يجرى له نوع من ذلك ، لاسيما عند سماع المكاء (٥) والتصدية (٦) ؛ فإن الشياطين قد تنزل عليهم ، وقد يصيب أحدهم كما يصيب

---

(١) سورة الحج / ٣١،٣٠.

(٢) إسناده ضعيف : أخرجه أبو داود (٣٥٩٩) والترمذى (٢٣٠٠) وابن ماجة (٢٣٧٢) وأحمد (١٧٨/٤ ، ٢٣٣) والبيهقى (١٢١/١) والطبرانى فى الكبير (٢٤٩/٤) من طريق العصفرى عن أبيه عن حبيب عن النعمان الأسدى عن خريم بن خانك رضى الله عنه مرفوعاً

قلت : وهذا إسناد ضعيف فيه علتان ؛

الأولى أبو سفيان وهو زياد قال ابن حجر مقبول أى عند المتابعة وإلا فلين . الثانية ؛ حبيب ابن النعمان ك قال ابن حجر مقبول أى عند المتابعة والإفلين

(٣) سورة الأعراف /١٥٢ .

(٤) سورة الصافات /٨٧،٨٦ .

(٥) المكاء : التصغير .

(٦) التصدية : التصفيق .

المصروع ؛ من الإرغاء (١) ، والازباد (٢)، والصياح المنكر.ويكلمه بما لا يعقل هو والحاضرون ، وأمثال ذلك مما يمكن وقوعه فى هؤلاء الضالين .

(٣) (السؤال بالجاه ونحوه) (*)

وأما (**القسم الثالث**) وهو أن يقول : اللهم بجاه فلان عندك ، أو ببركة فلان ، أو بحرمة فلان عندك : افعل بى كذا . وكذا فهذا يفعله كثير من الناس ؛ لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء ، ولم يبلغنى عن أحد من العلماء فى ذلك ما أحكيه ؛ إلا ما رأيت فى فتاوى الفقيه أبى محمد ابن عبدا السلام ؛ فإنه أفتى : أنه لا يجوز لأحد أن يفعل ذلك ؛ إلا للنبى صلى اللّه عليه وآله وسلم إن صح الحديث عن النبى صلى اللّه عليه وآله وسلم ـ ومعنى الاستفتاء : قد روى النسائى والترمذى وغيرهما أن النبى صلى اللّه عليه وآله وسلم علم بعض أصحابه أن يدعو فيقول : « **اللهم إنى أسألك وأتوسل إليك بنبيك نبى الرحمة . يامحمد : يارسول اللّه ! إنى أتوسل بك إلى ربى فى حاجتى ليقضيها لى . اللهم : فشفعه فى** (٣) » فإن هذا الحديث قد استدل به طائفة على جواز التوسل بالنبى صلى اللّه عليه وآله وسلم فى حياته وبعد مماته . قالوا : وليس فى التوسل دعاء المخلوقين ، ولا استغاثه بالمخلوق ، وإنما هو دعاء واستغاثة باللّه ؛ لكن فيه سؤال بجاهه

---

(١) الإرغاء : الصياح وعلو الصوت . وهذا اللفظ بيستعمل مع ذوات الخف . انظر لسان العرب (٣٢٩/١٤) ط. صادر .

(٢) الإزباد : ما يظهر على وجه الإنسان من الانفعال أو الغضب . يقول الليث : تزيد الإنسان إذا غضب وظهر على صماغيه زَبدَتان . انظر لسان العرب (١٩٢/٣) ط . صادر .

(*) زيادة من المحقق .

(٣) إسناده جيد : أخرجه الترمذى (٣٥٧٨) وابن ماجة (١٣٨٥) وأحمد (١٣٨/٤) والحاكم (٣١٣/١) كلهم من طريق عثمان بن عمر أن شعبة عن أبى جعفر المدنى قال : قال سمعت عمارة بن خزيمة يحدث عن عثمان به . وقال الترمذى « حسن صحيح غريب » ورواه أحمد : ثنا شعبة به ، وفيه الرواية الأخرى ، وتابعه محمد بن جعفر ثنا شعبة به ، وأخرجه الحاكم (٥١٩/١) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبى وانظر لزاماً التوسل للشيخ الألبانى حفظه الله .

كما فى سنن ابن ماجه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه ذكر فى دعاء الخارج للصلاة أن يقول : « **اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاى هذا ، فإنى لم أخرج أشراً ولا بطراً ، ولا رياء ولا سمعة . خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، أسألك أن تنقذنى من النار ، وأن تغفر لى ذنوبى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت** » (١)

قالوا ففى هذا الحديث أنه سأل بحق السائلين عليه وبحق ممشاه إلى الصلاة والله تعالى قد جعل على نفسه حقاً ، قال الله تعالى : ﴿ **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** ﴾ (٢) ونحو قوله : ﴿ **كان على ربك وعداً مسئولاً** ﴾ (٣) .

وفى الصحيحين عن معاذ بن جبل أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال له : « يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد ؟ » قال : الله ورسوله أعلم . قال : « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ فإن حقهم عليه أن لا يعذبهم » (٤) وقد جاء فى غير حديث : « كان حقا على الله كذا وكذا » ، كقوله : « من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يوماً ، فإن تاب تاب الله عليه ، فإن عاد فشربها فى الثالثة أو الرابعة كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال — قيل : وما طينة الخبال ؟ قال : عصارة أهل النار » . (٥) .

---

(١) إسناده ضعيف : أخرجه ابن ماجة (٧٧٨) وأحمد (٢١/٣) وابن السنى (٨٣) من طريق فضل بن مرزوق عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مرفوعاً به ، قلت : و إسناده ضعيف فيه علتان : الأولى : فضل بن مرزوق وثقه جماعة وضعفه آخرون الثانية : عطية العوفى ضعيف

(٢) سورة الروم / ٤٧ . (٣) سورة الفرقان / ١٦ .

(٤) حديث صحيح : أخرجه البخارى (٤٤/٦) ومسلم (٣٠) (٤٩) وأحمد (٢٢٨/٥) من حديث معاذ رضى الله عنه مرفوعاً .

(٥) حديث صحيح : قد جاء الحديث عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم منهم : عبد الله بن عمر ، وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص .
أولاحديث : عبد الله بن عمر أخرجه الترمذى (١٨٦٣) وأحمد (٣٥/٢) والطيالس (١٠٩١) من عطاء بن السائب عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه مرفوعاً . وقد رواه عن عطاء (جرير ، معمر ، وهمام) . قلت : وهذا إسناد ضعيف عطاء بن السائب كان قد اختلط وهؤلاء قد سمعوا منه حال اختلاطه . ثانيا : حديث ابن عباس رضى الله عنه أخرجه أبو داود (٣٦٨٠) من طريق إبراهيم بن عمر الصفانى قال: سمعت النعمان بن بشير يقول : عن طاووس عن ابن عباس رضى الله عنه مرفوعاً .قلت : وهذا إسناد ضعيف من أجل إبراهيم بن عمر الصفانى فإنه مجهول . ثالثا : حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه بن ماجه (٣٣٧٧) وأحمد (١٨٩/٢ وابن حبان (١٣٧٨) والحاكم (١٤٥/٤ /١٤٦) وصححه ووافقه الذهبى وهو كما قالا .

وقالت طائفة ليس فى هذا جواز التوسل به بعد مماته وفى مغيبه ؛ بل إنما فيه التوسل فى حياته بحضوره ، كما فى صحيح البخارى : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس ، فقال : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون (١) . وقد بين عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — أنهم كانوا يتوسلون به فى حياته فيسقون .

(التوسل المشروع) (*)

وذلك التوسل به أنهم كانوا يسألونه أن يدعو الله لهم ، فيدعو لهم ، ويدعون معه . ويتوسلون بشفاعته ودعائه ، كما فى الصحيح عن أنس بن مالك — رضى الله عنه — أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان بجوار « دار القضاء » ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائمًا . فقال : يا رسول الله ! هلكت الأموال ، وانقطعت السبل . فادع الله لنا أن يمسكها عنا ، قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديه ثم قال : « اللهم حوالينا لا علينا ، اللهم على الآكام (٢) والضراب (٣) وبطون الأودية ومنابت الشجر (٤) » قال : وأقلعت فخرجنا نمشى فى الشمس ، ففى هذا الحديث أنه قال . ادع الله لنا أن يمسكها عنا .

وفى الصحيح أن عبد الله بن عمر قال : إنى لأذكر قول أبى طالب فى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حيث قال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فهذا كان توسلهم به فى الاستسقاء ونحوه ، ولما مات توسلوا بالعباس رضى الله عنه ، كما كانوا يتوسلون به ويستسقون ، وما كانوا يستسقون به بعد موته ، ولا فى مغيبه ولا

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البخارى (١٠١٠) وابن حبان (٢٨٥٠ / إحسان) من حديث أنس رضى الله عنه .

(*) زيادة من المحقق .

(٢) الآكام : جمع أكمة ، وهى : التّل . المعجم الوسيط (١/ ٢٣) .

(٣) الظراب : جمع ظرب ، وهو الجبل المنبسط . المعجم الوسيط (٢/ ٥٩٦) .

(٤) حديث صحيح : أخرجه البخارى (٢/ ١٥/ ٣٥/ ٣٦) ومسلم (٨٩٧) وأبو داود (١١٧٤/ ١١٧٥) والنسائى (٣/ ١٦٠) وابن ماجه (١٢٦٩) وأحمد (٣/ ١٠٤ / ١٨٧) والبيهقى (٣/ ٣٥٣/ ٣٥٤) والبغوى (٤/ ٤١٤) من حديث أنس رضى الله عنه مرفوعاً .

عند قبره ولا عند قبر غيره ، وكذلك معاوية بن أبى سفيان استسقى بيزيد بن الأسود الجرشى ، وقال : اللهم إنا نستشفع إليك بخيارنا ! يا يزيد ارفع يدك إلى الله ! فرفع يديه ، ودعا ، ودعوا ، فسقوا . فلذلك قال العلماء : يستحب أن يستسقى بأهل الصلاح والخير ، فإذا كانوا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أحسن . ولم يذكر أحد من العلماء أنه يشرع التوسل والاستسقاء بالنبى والصالح بعد موته ولا فى مغيبه ولا استحبوا ذلك فى الا ستسقاء ولا فى الاستنصار ولا غير ذلك من الأدعية . والدعاء مخ العبادة .

والعبادة مبناها على السنة والاتباع ، لا على الأهواء والابتداع ، وإنما يعبد الله بما شرع ، ولا يعبد بالأهواء والبدع ، قال تعالى ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله** ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ **ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين** ﴾ (٢) وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « إنه سيكون فى هذه الأمة قوم يعتدون فى الدعاء والطهور » (٣) .

(الاستغاثة بالأولياء) (*)

وأما الرجل إذا أصابته نائبة أو خاف شيئا فاستغاث بشيخه يطلب تثبيت قلبه من ذلك الواقع ، فهذا من الشرك ، وهو من جنس دين النصارى ، فإن الله هو الذى يصيب بالرحمة ويكشف الضر ، قال تعالى : ﴿ **و إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله** ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده** ﴾ (٥) وقال تعالى : ﴿ **قل : أرأيتكم إن**

---

(١) سورة الشورى / ٢١ . (٢) سورة الأعراف / ٥٥ .

(٣) اسناده صحيح : أخرجه أبو داود (٩٦) والبيهقى (١٩٧/١) من طريق حماد بن سلمة حدثنا سعيد الجريرى عن أبى نعامة أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول « اللهم إنى أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها » فقال يابنى سل الله الجنة وتعوذ به من النار فإنى سمعت رسول الله ﷺ فذكره قلت : وإسناده صحيح والجريرى كان قد اختلط قبل موته بثلاث سنوات ولكن حماد بن سلمة من الذين سمعوا منه قبل الاختلاط وللحديث شاهد من حديث سعد بن أبى وقاص عند أحمد (١ / ١٧٢ / ١٧٣) .

(*) زيادة من المحقق . (٤) يونس / ١٠٧ . (٥) فاطر / ٢ .

أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ؛ بل إياه تدعون ، فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ، وتنسون ما تشركون ﴾ (١) . وقال تعالى : **﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، إن عذاب ربك كان محذورا ﴾** (٢) فبين أن من يدعى من الملائكة والأنبياء وغيرهم لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلاً .

فإذا قال قائل : أنا أدعو الشيخ ليكون شفيعاً لى فهو من جنس دعاء النصارى لمريم والأحبار والرهبان . والمؤمن يرجو ربه ويخافه ، ويدعوه مخلصاً له الدين ، وحق شيخه أن يدعو له ويترحم عليه ؛ فإن أعظم الخلق قدراً هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأصحابه أعلم الناس بأمره وقدره ، وأطوع الناس له ، ولم يكن يأمر أحداً منهم عند الفزع والخوف أن يقول : يا سيدى ! يا رسول الله ولم يكونوا يفعلون ذلك فى حياته ولا بعد مماته ؛ بل كان يأمرهم بذكر الله ودعائه والصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم — قال تعالى : **﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيمانا ، وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم ﴾** (٣) وفى صحيح البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - إن هذه الكلمة قالها إبراهيم – عليه السلام – حين ألقى فى النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وآله وسلم – يعنى وأصحابه – حين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم .

وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يقول عند الكرب : « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش الكريم ، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم » (٤) وقد روى أنه علم نحو هذا الدعاء بعض أهل بيته ، وفى السنن أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا حز به (٥) أمر قال : « يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث (٦) وروى أنه علم ابنته فاطمة أن تقول : « ياحى يا قيوم يابديع

---

(١) سورة الأنعام / ٤٠ ، ٤١ . (٢) سورة الإسراء / ٥٦ ، ٥٧ . (٣) سورة آل عمران / ١٧٣ ، ١٧٤ (٤) حديث صحيح : أخرجه البخارى (١١ / ١٢٣) ومسلم (٢٧٣٠) من حديث بن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً . (٥) حزبه : أصابه وشتد عليه .

(٦) اسناده ضعيف : أخرجه الترمذى (٣٥٢٤) من طريق الرقاشى عن أنس بن مالك رضى الله عنه مرفوعاً وقال الترمذى : هذا حديث غريب يعنى ضعيف .
قلت : والرقاشى هو يزيد بن آبان الرقاشى وهو ضعيف .

السموات والأرض ، لا إله إلا أنت ، برحمتك أستغيث أصلح لى شأنى كله . ولا تكلنى (١) إلى نفسى طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك » . (٢)

وفى مسند الإمام أحمد وصحيح أبى حاتم البستى عن ابن مسعود – رضى الله عنه – عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ما أصاب عبدا قط هم ولا حزن فقال : اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فىَّ حكمك ، عدل فىَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك : أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ، ونور صدرى ، وجلاء حزنى ، وذهاب همى وغمى . إلا أذهب الله همه وغمه ، وأبدله مكانه فرحاً . قالوا يا رسول الله : أفلا نتعلمهن ؟ قال : ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن (٣) وقال

(١) تكلنى : أى تتركنى ، ومن ذلك قولهم : وكله إلى رأيه وكلاً ووكولاً :

تركه ؛ وأنشد ابن برى لراجز :

لما رأيت أغنى راعــى غَنَــمْ

وإنما وكْلٌ على بعض الخَدامْ

عَجْز وتَعْزيرٌ إذا الأمــرُ أزمْ .

أراد أن التوكل على بعض الخدم عجز . انظر لسان العرب (١١ / ٧٣٤) ط صادر .

(٢) إسناده ضعيف : أخرجه الطبرانى فى الصغير (١٥٩/١) وفى الدعاء (١٠٤٦) من طريق نصر ابن على ثنا سلمة بن حرب بن زياد الكلابى ثنى أبو مدرك حدثنى أنس بن مالك رضى الله عنه مرفوعاً .

قلت : وإسناده ضعيف قال الذهبى وقد ذكر سلمة فى الميزان ، مجهول كشيخه أبى مدرك .

(٣) إسناده ضعيف : أخرجه أحمد (٤٥٢/١) وابن حبان (٢٣٧٢) وابن أبى شيبة (١٠ /٢٥٣) والحاكم (٥٠٩/١) والطبرانى فى الدعاء (١٠٣٥) من طريق فضل بن مرزوق حدثنى أبو سلمة الجهنى عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود مرفوعاً وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن مسلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه فإنه مختلف فى سماعه من أبيه فقال الذهبى وقال أبو سلمة لا يدرى من هو وليس له رواية فى الكتب الستة وهو كما قال الذهبى وأخرجه أيضا ابن أنس (٣٤٠) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن به نحوه .

قلت : وعبد الرحمن بن إسحاق هو الواسطى وهو ضعيف .

لأمته : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان (١) لموت أحد ولا لحياته ، ولكن الله يخوف بهما عباده ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة وذكر الله والاستغفار (٢) » فأمرهم عند الكسوف بالصلاة والدعاء والذكر والعتق والصدقة ، ولم يأمرهم أن يدعوا مخلوقاً ولا ملكا ولا نبيًّا ولا غيرهم .

ومثل هذا كثير فى سنته ، لم يشرع للمسلمين عند الخوف إلا ما أمر الله به ؛ من دعاء الله ، وذكره والاستغفار ، والصلاة والصدقة ، ونحو ذلك . فكيف يعدل (٣) المؤمن بالله ورسوله عما شرع الله ورسوله إلى بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، تضاهى دين المشركين والنصارى ؟ .

فإن زعم أحد أن حاجته قضيت بمثل ذلك ؛ وأنه مثل له شيخه ونحو ذلك ، فعباد الكواكب والأصنام ونحوهم من أهل الشرك يجرى لهم مثل هذا ، كما قد تواتر ذلك عمن مضى من المشركين ، وعن المشركين فى هذا الزمان . فلولا ذلك ما عبدت الأصنام ونحوها ، قال الخليل عليه السلام : ﴿ **واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام . رب إ نهن أضللن كثيرا من الناس** ﴾ (٤) .

---

(١) الكسوف : احتجاب نور الشمس أو نقصانه بوقوع القمر بينها وبين الأرض وهو للشمس كالخسوف للقمر . المعجم الوسيط (٢ / ٨١٩) .

وقال بعض العلماء : إن الكسوف مثل الخسوف ، فيجوز إطلاق اللفظين على الشمس والقمر دون تفريق. ولكن الأظهر فى اللغة والأغلب أن الكسوف للشمس والخسوف للقمر قال جرير :

فالشمس طالعة ليست بكاسفة   تبكي عليك نجوم الليل والقمرا .

راجع ذلك إن شئت لسان العرب (٩/٢٩٨) ط . صادر .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم – فى الحديث « ينكسفان » للشمس والقمر ، فيجوز أن ذلك للتغليب ، والله تعالى أعلم .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى (٢ / ٥٢٩ فتح) ومسلم (١ ٩٠) وأبو داود (١١٧٧) والنسائى (١٥٠٠) وابن ماجه (١٢٦٣) وأحمد (٦ / ٣٥٤) والبيهقى (٣ / ٣٢١) من حديث عائشة رضى الله عنها مرفوعا وفى الباب من حديث جابر وابن عباس وأبى مسعود الأنصارى وأبى موسى رضى الله عنهم .

(٣) يعدل : يحيد ويميل .

(٤) سورة إبراهيم / ٣٦ .

(بداية ظهور الشرك فى أرض مكة بعد سيدنا إبراهيم عليه السلام) (*)

ويقال : إن أول ما ظهر الشرك فى أرض مكة بعد إبراهيم الخليل من جهة « عمرو بن لحى الخزاعى » الذى رآه النبى صلى الله عليه وآله وسلم يجر أمعاءه فى النار ، وهو أول من سيَّب السوائب (١) ، وغير دين إبراهيم ، قالوا : إنه ورد الشام ، فوجد فيها أصناما بالبلقاء (٢) ، يزعمون أنهم ينتفعون بها فى جلب منافعهم ، ودفع مضارهم ، فنقلها إلى مكة . وسن للعرب الشرك وعبادة الأصنام .

والأمور التى حرمها الله ورسوله : من الشرك ، والسحر ، والقتل ، والزنا وشهادة الزور ، وشرب الخمر وغير ذلك من المحرمات : قد يكون للنفس فيها حظ مما تعده منفعة ، أو دفع مضرة ، ولولا ذلك ما أقدمت النفوس على المحرمات التى لا خير فيها بحال ، وإنما يوقع النفوس فى المحرمات الجهل أو الحاجة ، فأما العالم يقبح الشىء والنهى عنه فكيف يفعله ، والذين يفعلون هذه الأمور جميعها قد يكون عندهم جهل بما فيه من الفساد . وقد تكون بهم حاجة إليها ؛ مثل الشهوة إليها ، وقد يكون فيها من الضرر أعظم مما فيها من اللذة ولا يعلمون ذلك لجهلهم ، أو تغلبهم أهواؤهم حتى يفعلوها . والهوى غالبًا يجعل صاحبه كأنه لا يعلم من الحق شيئاً ، فإن حبك للشىء يعمى ويصم .

ولهذا كان العالم يخشى الله (٣) ، وقال أبو العالية سألت أصحاب محمد صلى الله

(*) زيادة من المحقق .

(١) سيَّب السوائب : قال العلامة جمال الدين القاسمى فى تفسير قوله تعالى ﴿ **ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون** ﴾ (المائدة ٨٣) .

« ولا سائبة » : وهى الناقة كانت تسيب فى الجاهلية لنذر أو لطواغيتهم ؛ أى تترك ولا تركب ولا يحمل عليها كالبحيرة ، أو كانت إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث ، ليس بينهن ذكر ، سيبت فلم تركب ، ولم يجزّ وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو الضيف .

أو كان الرجل إذا قدم من سفر بعيد ، أو برىء من علة ، أو نجت دابته من مشقة أو حرب قال : هى (أى ناقتى) سائبة . أ . هـ .

انظر محاسن التأويل للقاسمى (٦/٢١٨٣) ط . دار إحياء الكتب العربية .

(٢) البلقاء : أرض بالشام ، وقليل مدينة

(٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ (فاطر / ٢٨) .

عليه وعلى آله وسلم عن قول الله عز وجل : ﴿ **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ، ثم يتوبون من قريب** ﴾ (١) الآية فقالوا : كل من عصى الله فهو جاهل ، وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب . وليس هذا موضع البسط لبيان مافى المنهيات من المفاسد الغالبة ، وما فى المأمورات من المصالح الغالبة ، بل يكفى المؤمن أن يعلم أن ما أمر الله به فهو لمصلحة محضة أو غالبة ، وما نهى الله عنه فهو مفسدة محضة أو غالبة ، وأن الله لا يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليهم ، ولا نهاهم عما نهاهم بخلاً به عليهم ، بل أمرهم بما فيه صلاحهم ، ونهاهم عما فيه فسادهم ، ولهذا وصف نبيه – صلى الله عليه وسلم – بأنه ﴿ يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ (٢)

---

(١) سورة النساء/ ١٧ .

(٢) سورة الأعراف / ١٥٧ .

(التمسح بالقبر وتقبيله ...) (*)

وأما التمسح بالقبر - أى قبر كان - وتقبيله ، وتمريغ الخد عليه فمنهى عنه باتفاق المسلمين ، ولو كان ذلك من قبور الأنبياء ولم يفعل هذا أحد من سلف الأمة وأئمتها ، بل هذا من الشرك ، قال الله تعالى : ﴿ **وقالوا : لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن وداً ولا سواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسراً ، وقد أضلوا كثيراً** ﴾ (١) وقد تقدم أن هؤلاء أسماء قوم صالحين كانوا من قوم نوح ، وأنهم عكفوا على قبورهم مدة ، ثم طال عليهم الأمد فصوروا تماثيلهم ؛ لا سيما إذا اقترن بذلك دعاء الميت والاستغاثة به . وقد تقدم ذكر ذلك ، وبيان ما فيه من الشرك ، وبينّا الفرق بين « الزيارة البدعية » التى تشبه أهلها بالنصارى و « الزيارة الشرعية » .

(تعظيم الشيوخ والكبراء بوضع الرأس والانحناء) (*)

وأما وضع الرأس عند الكبراء من الشيوخ وغيرهم ، أو تقبيل الأرض ونحو ذلك ، فإنه مما لا نزاع فيه بين الأئمة فى النهى عنه . ففى المسند وغيره أن معاذ بن جبل رضى الله عنه لما رجع من الشام سجد للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « ما هذا يا معاذ ؟ فقال : يارسول الله ! رأيتهم فى الشام يسجدون لأساقفتهم (٢) وبطارقتهم (٣) ، ويذكرون ذلك عن أنبيائهم ، فقال : كذبوا يا معاذ ! لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ، يا معاذ أرأيت إن مررت بقرى أكنت ساجداً ؟ قال لا - قال : - تفعل هذا » (٤) أو كما قال

(*) زيادة من المحقق .

(١) سورة نوح / ٢٣ ، ٢٤ .

(*) زيادة من المحقق .

(٢) الأسْقُفّ (وتخفف الفاء) : رئيس من رؤساء النصارى ، فوق القسيس ودون المِطرانِ ، وجمعه أساقفة ، وأساقف . المعجم الوسيط (١/ ٤٥٣) .

(٣) البِطْرِيقُ : رئيس رؤساء الأساقفة ، وجمعة : بطارق ، وبطارقة ، وبطاريق .

(٤) تقدم تخريجه .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

بل قد ثبت في الصحيح من حديث جابر : أنه صلى الله عليه وآله وسلم صلى بأصحابه قاعداً من مرض كان به ، فصلوا قياماً ، فأمرهم بالجلوس ، وقال : « لا تعظموني كما تعظم الأعاجم (١) بعضها بعضاً » (٢) ، وقال « من سره أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ (٣) مقعده من النار » (٤) فإذا كان قد نهاهم مع قعوده – وإن كانوا قاموا في الصلاة – حتى لا يتشبهوا بمن يقومون لعظمائهم ، وبيّن أن من سره القيام له كان من أهل النار ، فكيف بما فيه من السجود له ، ومن وضع

---

(١) الأعاجم : العُجم والعَجم خلاف العُرْب والعَرب .

وهو علم على الفرس خاصة . المعجم الوسيط (٦٠٧/٢) .

ويقال عَجَميٌّ وجمعه عجمٌ ، وخلافه عربي وجمعه عرب ، ورجل أعجم وقوم أعْجَم .

قال الشاعر :

سَلُّومُ لو أصبحت وسط الأعْجَمِ

في الروم أو فارسَ ، أو في الدَّيْلَمِ

إذا لزرناكِ ولو بسُلَّمِ . انظر لسان العرب (١٢ / ٣٨٥) ط . صادر .

(٢) الذي في الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه قال :اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلينا وراءه وهو قاعد وأبو بكر يُسمع الناس تكبيره فالتفت إلينا فرآنا قياماً فأشار إلينا بالقعود . فصلينا بصلاته قعوداً ، فلما سلم قال : « إن كنتم آنفاً لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود . فلا تفعلوا أئتموا بأئمتكم . إن صلى قائماً فصلوا قياماً . وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً » رواه مسلم (٤١٣) وقد تقدم الحديث .

(٣) تبوأ فلان منزلاً : أي اتخذه . وقال الفراء : « .... وفي الحديث « من كذب على متعمداً ، فليتبوأ مقعده من النار » وتكررت هذه اللفظة في الحديث ومعناها : لينزل منزله من النار » أ . هـ

(٤) إسناده صحيح : أخرجه أبو داود (٥٢٢٩) والترمذي (٢٧٥٦) وأحمد (٩٣/٩١/٤) والبخاري في « الأدب المفرد » (٩٧٧) والطبراني في الكبير (٢٣ / ٣٢٠ / ٣٥١ / ٣٥٢) والبغوي في شرح السنة (٣٣٣٠) من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعاً .

الرأس ، وتقبيل الأيادى ، وقد كان عمر بن عبد العزيز (١) رضى الله عنه - وهو خليفة الله على الأرض - قد وكل أعوانا يمنعون الداخل من تقبيل الأرض ، ويؤدبهم إذا قبل أحد الأرض .

وبالجملة فالقيام والقعود والركوع والسجود حق للواحد المعبود ، خالق السموات والأرض ، وما كان حقا خالصاً لله لم يكن لغيره فيه نصيب ؛ مثل الحلف بغير الله عز وجل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » (٢) متفق عليه ، وقال أيضاً : « من حلف بغير الله فقد أشرك » (٣) .

---

(١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية ، الإمام الحافظ العلامة المجتهد العابد الزاهد السيد أمير المؤمنين حقًّا أبو حفص .

كان من أئمة الاجتهاد ومن الخلفاء الراشدين رحمة الله علي عليه ، ينتسب إلي ععمر بن الخطاب رضى الله عنه من ناحية أمه ، فأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . رضى الله عنهم أجمعين - ولد رحمه الله تعالى سنة ٦٣ هـ ، وكان ثقة مأمونًا له له فقه وعلم وورع ، وكان إمام عدل رحمه الله ورضى عنه . وقد تولى المدينة فى إمرة الوليد من سنة ٨٦ هـ إلى سنة ٩٣ هـ . كما تولى خلافة المسلمين سنة ٩٩ هـ فنشر العدل وعمل بشريعة الرحمن حتى عمت البلاد كلها البركة والخير ،

قال حرملة : سمعت الشافعى يقول : الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز ، وفى رواية الخلفاء الراشدون .

وتوفى رحمه الله بعد أن دسّ له الحاقدون السم فى الطعام سنة ١٠١ هـ .

انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب (٧/٤٧٥) وسير أعلام النبلاء (٥/١١٤) ، وحلية الأولياء (٥/٢٥٣) ، وصفة الصفوة (٢/١١٣) ، والأعلام (٥/٥٠) .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى (١١/٤٦١ ، ٤٦٢) ومسلم (١٦٤٦) وأبو داود (٣٢٤٩) والترمذى (١٥٣٤) والنسائى (٧ / ٢٤ .٥) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعاً .

(٣) إسناده صحيح : أخرجه الترمذى (١٥٣٥) وأحمد (٢/٣٤، ٦٩ و ٨٦ و ٨٧) والحاكم (٤ / ٢٩٧) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعاً وصححه الحاكم ووافقه الذهبى وهو كما قالا .

فالعبادة كلها لله وحده لا شريك له ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة** ﴾ . (١) . وفي الصحيح عن النبي صلى عليه آله وسلم أنه قال : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً . وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » (٢) وإخلاص الدين لله هو أصل العبادة .

(نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشرك كبيره وصغيره) (*)

ونبينا صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن الشرك دقه وجله ، وحقيره وكبيره ، حتى إنه قد تواتر عنه أنه نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها بألفاظ متنوعة ؛ تارة يقول : « لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها (٣) . وتارة ينهى عن الصلاة بعد طلوع الفجر حتى تطلع الشمس ، وبعد العصر حتى تغرب الشمس ، وتارة : يذكر أن الشمس إذا طلعت طلعت بين قرني شيطان (٤) ، وحينئذ يسجد لها الكفار ، ونهى عن الصلاة في هذا الوقت ، لما فيه من مشابهة للمشركين في كونهم يسجدون للشمس في

---

(١) سورة البينة / ٥ .

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم (١٧١٥) ومالك في « الموطا » (٢/٩٩٠) وأحمد (٢/٣٦٧) والبيهقي (٨/١٦٣) والبغوي في « شرح السنة » (١/٢٠٢ - ٢٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

(*) زيادة من المحقق .

(٣) حديث صحيح أخرجه البخاري (١/١٥٢) ومسلم (١ /٥٦٧ / عبد الباقي) ومالك (١/١٧٧ و ١٧٨) والنسائي (١ / ٢٧٧) وأحمد (٢/١٩ ، ٢٤) والطبراني في الكبير (١٢ / ٣٢٩) وابن خزيمة في صحيحه (١٢٧٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا .

(٤) ورد هذا المعنى في عدة أحاديث منها حديث عمرو بن عبسة قال : قلت : يانبي الله أخبرني عن الصلاة ؟ قال : « صل الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وترتفع ، فإنها تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ، ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم ، فإذا أقبل الفيء ، فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلى العصر ، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب فإنها تغرب بين قرني شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار » . رواه أحمد ومسلم .

هذا الوقت ، وأن الشيطان يقارن الشمس (١) حينئذ ليكون السجود له فكيف بما هو أظهر شركاً ومشابهة للمشركين من هذا . وقد قال الله تعالى فيما أمر رسوله أن يخاطب به أهل الكتاب : ﴿ **قل : ياأهل الكتاب ! تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : أن لا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ (٢) وذلك لما فيه من مشابهة أهل الكتاب من اتخاذ بعضهم بعضاً أربابًا من دون الله ، ونحن منهيون عن مثل هذا ؛ ومن عدل عن هدى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهدى أصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى ماهو من جنس هدى النصارى فقد ترك ماأمو الله به ورسوله .

وأما قول القائل : انقضت حاجتي ببركة الله وبركتك . فمنكر من القول ؛ فإنه لا يقرن بالله في مثل هذا غيره ، حتى إن قائلا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : ماشاء الله وشئت فقال : « **أجعلتني لله نداً ؟ ! بل ما شاء الله وحده** »(٣) وقال لأصحابه : « **لاتقولوا ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاءمحمد** (٤) » وفي الحديث أن بعض المسلمين رأى قائلاً يقول : نعم القوم أنتم لولا أنكم تنددون . أى تجعلون لله نداً . يعني تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . فنهاهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك

وفى الصحيح عن زيد بن خالد ، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الفجر بالحديبية فى إثر سماء من الليل ، فقال : « **أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ قلنا** : الله ورسوله أعلم ، قال : **قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ؛ فأما من قال : مطرنا**

---

(١) يقارن الشمس : يدنى رأسه من الشمي . (٢) سورة آل عمران /٦٤ .

(٣) إسناده حسن : أخرجه ابن ماجة (٢١١٧) وأحمد (١/٢١٤) من طريق الأجلح الكندى عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس رضى الله عنه مرفوعاً قلت و إسناده حسن من أجل الأجلح وهو ابن عبد الله الكندى وهو صدوق إن شاء الله تعالى .

(٤) إسناده صحيح لـ أخرجه ابن ماجه (٢١١٨) وأحمد (٥/٢٩٣) من طريق عبد الله بن يسار عن حذيفة رضى الله عنه مرفوعاً وتابع عبد الله بن يسار ربعى بن حراش أخرجه أبو داود (٤٩٨٠) وأحمد (٥/٣٨٤و٣٩٤و٣٩٨) والبيهقى (٣/٢١٦) .

بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال

مطرنا بنوء (١) كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب (٢) » .. والأسباب التى جعلها الله أسباباً لا تجعل مع الله شركاء وأنداداً وأعوانا

وقول القائل : ببركة الشيخ قد يعنى بها دعاءه ، وأسرع الدعاء إجابة دعاء غائب لغائب . وقد يعنى بها بركة ماأمره به وعلمه من الخير وقد يعنى بها بركة معاونته له على الحق وموالاته فى الدين ونحو ذلك . وهذه كلها معان صحيحة . وقد يعنى بها دعاءه للميت والغائب ؛ إذ استقلال الشيخ بذلك التأثير ، أو فعله لما هو عاجز عنه ، أو غير قادر عليه ، أو غير قاصد له : متابعته أو مطاوعته على ذلك من البدع المنكرات ونحو هذه المعانى الباطلة . والذى لا ريب فيه أن العمل بطاعة الله تعالى ، ودعاء المؤمنين بعضهم لبعض ونحو ذلك : هو نافع فى الدنيا والآخرة ، وذلك بفضل الله ورحمته .

---

(١) نوء : النجم إذا مال للمغيب والجمع أنواءُ ونُوآن ، حكاه ابن جنى وقيل النوء سقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر ، وطلوع رقيبه ، وهو نجم آخر يقابله من ساعته فى المشرق .. قال : وإنما سمى نوءً لأنه إذا سقط الغارب ناء الطالع ، وذلك الطلوع هو النوء

قال أبو عبيد : الأنواء ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع فى أزمنة السنة كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف ، يسقط منها في كل ثلاثة عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله فى المشرق من ساعته ، وكلاهما معلوم مسمي ، وانقضاء هذه الثمانية وعشرون كلها مع انقضاء السنة ، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة ، وكانت العرب فى الجاهلية أذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا : لابد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح ، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلي ذلك النجم ، فيقولون مطرنا بنوء الثريا ، والدَّبرانِ والسِّماك .

انظرلسان العرب (١٧٥/١) ط .صادر .

راجع الكلام على الاستسقاء ، بالأنواء في كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ؛ تأليف الشيخ عبد الرحمن حسن آل شيخ ص (٤٥٢) ط . قرطبة .

(٢)حديث صحيح : أخرجه البخاري (٤١٤٧) ومسلم ١٢٥٠) من حديث زيد بن خالد رضى الله عنه مرفوعاً.

(القطب الغوث الفرد الجامع) (*)

وأما سؤال السائل عن « القطب الغوث الفرد الجامع » . فهذا قد يقوله طوائف من الناس ، ويفسرونه بأمور باطلة فى دين الإسلام ؛ مثل تفسير بعضهم : أن « الغوث » هو الذى يكون مدد الخلائق بواسطته فى نصرهم ورزقهم ، حتى يقول : إن مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته . فهذا من جنس قول النصارى فى المسيح عليه السلام ، والغالية فى على رضى الله عنه . هذا كفر صريح ، يستتاب منه صاحبه ، فإن تاب وإلا قتل ؛ فإنه ليس من المخلوقات لا ملك ولا بشر يكون إمداد الخلائق بواسطته ، ولهذا كان ما يقوله الفلاسفة فى « العقول العشرة » الذين يزعمون أنها الملائكة ، وما يقوله النصارى فى المسيح ونحو ذلك كفر صريح باتفاق المسلمين .

وكذلك عنى بالغوث ما يقوله بعضهم من أن فى الأرض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، يسمونهم « النجباء » فينتقى منهم سبعون هم « النقباء » ومنهم أربعون هم « الأبدال » ومنهم سبعة هم « الأقطاب » ومنهم أربعة هم « الأوتاد » ومنهم واحد هو « الغوث » وأنه مقيم بمكة ، وأن أهل الأرض إذا نابهم نائبة فى رزقهم ونصرهم فزعوا إلى الثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، واولئك يفزعون إلى السبعين ، والسبعون إلى الأربعين والأربعون إلى السبعة ، والسبعة إلى الأربعة إلى الواحد . وبعضهم قد يزيد فى هذا وينقص فى الأعداد والأسماء والمراتب : فإن لهم فيها مقالات متعددة حتى يقول بعضهم : إنه ينزل من السماء على الكعبة ورقة خضراء باسم غوث الوقت ، واسم خضره ـ على قول من يقول منهم : إن الخضر هو مرتبة ، وإن لكل زمان خضراً ، فإن لهم فى ذلك قولين ـ وهذا كله باطل لا أصل له فى كتاب الله ولا سنة رسوله ، ولا قاله أحد من سلف الأمة ولا أئمتها ، ولا من المشايخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون للاقتداء بهم . ومعلوم أن سيدنا رسول رب العالمين وأبا بكر وعثمان وعلياً ـ رضى الله عنهم ـ كانوا خير الخلق فى زمنهم ، وكانوا بالمدينة ؛ ولم يكونوا بمكة.

وقد روى بعضهم حديثاً فى « هلال » غلام المغيرة بن شعبة وأنه أحد السبعة . والحديث باطل باتفاق أهل المعرفة ، وإن كان قد روى بعض هذه الأحاديث

(*) زيادة المحقق .

أبو نعيم (١) فى « حلية الأولياء » والشيخ أبو عبد الرحمن السلمى (٢) فى بعض مصنفاته ، فلا تغتر بذلك ؛ فإن فيه الصحيح والحسن والضعيف والموضوع ، والمكذوب الذى لا خلاف بين العلماء فى أنه كذب موضوع . وتارة يرويه على عادة بعض أهل الحديث الذين يروون ماسمعوا ولا يميزون بين صحيحه وباطله ، وكان أهل الحديث لا يروون مثل هذه الأحاديث ؛ لما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى اللّه عليه وآله وسلم أنه قال : « **من حدث عنى بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين** » (٣) .

وبالجملة فقد علم المسلمون كلهم أن ما ينزل بالمسلمين من النوازل (٤) فى الرغبة والرهبة ؛ مثل دعائهم عند الاستسقاء لنزول الرزق ، ودعائهم عند الكسوف . والاعتداد لرفع البلاء ، وأمثال ذلك إنما يدعون فى ذلك اللّه وحده لاشريك له ، لا يشركون به شيئاً

---

(١) هو الإمام الحافظ الثقة العلامة أبو نعيم أحمد بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهانى ، ولد سنة ٣٣٦ هـ ؛ كان حافظاً مبرزاً عالى الإسناد ، تفرد فى الدنيا بشىء كثير من العوالى ، وهاجر إلى لُقيِّه الحفاظ ، وصنف العديد من المؤلفات الهامة ومن أعظمها كتابه « حلية الألياء » ، ومات أبو نعيم سنة ٤٣٠ هـ وله أربع وتسعون سنة .
انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء (٤٥٣/١٧) ، وشذرات الذهب (٢٤٥/٣) ، وميزان الاعتدال (١١١/١) ، تذكرة الحفاظ (١٠٩٢/٣) .

(٢) هو محمد بن الحسين بن موسى بن خالد بن سالم الراوية المعروف بأبى عبد الرحمن السلمى ، وله لسنة ٣٢٥ هـ فى نيسابور من مدن خراسان ، وتوفى سنة ٤١٢ هـ صنف الكثير من المصنفات الحديثية والنار يخية و غيرها ، وذكر الإمام الذهبى أن مصنفاته بلغت سائة مصنف أو أكثر .
وقد أخذ عليه بعض العلماء بعض المآخذ من أهمها : تأليفه فى التفسير الصوفى .
انظر شذرات الذهب (١٩٦/٣) ، وتذكرة الحفاظ (١٠٤٦/٣) ، وميزان الاعتدال (٥٢٣/٣) ، البداية والنهاية (١٢/١٢) .

(٣) حديث صحيح : أخرجه مسلم فى مقدمة صحيحه (٩/١/ عبد الباقى) ، ابن ماجه (٣٩) وأحمد (٢٠/٥) من حديث سمرة بن جندب رضى اللّه عنه مرفوعاً

(٤) النوازل : الشدائد التى تحل بالمرء .

شيئا ، لم يكن للمسلمين قط أن يرجعوا بحوائجهم إلى غير الله عز وجل ؛ بل كان المشركون في جاهليتهم يدعونه بلا واسطة فيجيبهم الله ، أفتراهم بعد التوحيد والإسلام لا يجيب دعاءهم إلا بهذه الواسطة التي ما أنزل الله بها من سلطان ؟! قال تعالى ﴿**وإذا مس الإنسان ضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائما ، فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه**﴾ (١) وقال تعالى ﴿ **وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه** ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ **قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة ، أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ؛ بل إياه تدعون ، فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ، وتنسون ما تشركون** ﴾ (٣) وقال ﴿ **ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون . فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون** ﴾. (٤) .

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم استسقى لأصحابه بصلاة وبغير صلاة، وصلى بهم للاستسقاء وصلاة الكسوف . وكان يقنت في صلاته فيستنصر على المشركين، وكذلك خلفاؤه الراشدون بعده ، وكذلك أئمة الدين ومشايخ المسلمين . ومازالوا على هذه الطريقة .

ولهذا يقال : ثلاثة أشياء ما لها من أصل (**باب النصيرية**) (٥) و (**منتظر**

---

(١) سورة يونس / ١٢ (٢) سورة الإسراء / ٦٧ .

(٣) سورة الأنعام / ٤٠ ، ٤١ . (٤) سورة الأنعام / ٤٢ ، ٤٣ .

(٥) النصيرية حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث الهجرى ، أصحابها يعدون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجود جزء إلهى في عليٍّ وألهوه به ، مقصدهم هدم الإسلام ونقض عراه ، وهم مع كل غاز لأرض المسلمين ، ولقد أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا اسم (العلويين) تمويهاً وتغطية لحقيقتهم الرافضة مؤسس هذه الفرقة أبو شعيب محمد بن نصير البصرى النميرى (ت ٢٧ هـ) ادعى النبوة والرسالة ، وغلا في حق الأئمة إذ نسبهم إلى الألوهية .

قال ابن نصير فيب بإبحة المحارم وأحل اللواط كما يعظمون الخمرة ويحتسونها وهذه الفرقة تبغض الصحابة بغضاً شديداً ، كما يلعنون أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، وقد قال عنهم ابن تيمية أنهم أكفر من اليهود والنصارى ، بل وأكفر من كثير من المشركين .

انظر : (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة) ص (٥١١) ، (الحركات الباطنية في العالم الإسلامى) للدكتور / محمد أحمد الخطيب ص (٣١٩) .

الرافضة) (١) و (**غوث الجهال**) ؛ فإن الناصرية تدعى فى الباب الذى لهم ماهو من هذا الجنس أنه الذى يقيم العالم ، فذاك شخصه موجود ؛ ولكن دعوى النصيرية فيه باطلة . وأما محمد بن الحسن المنتظر (٢) ، والغوث المقيم بمكة ، ونحو هذا : فإنه باطل ليس له وجود .

---

(١) الرافضة قوم من الشيعة وقد قيل فى سبب تسميتهم بذلك أقوال متعددة ، والراجح فى ذلك أنهم رفضوا زيد بن على – رضى الله عنه – لما رفض أن يتبرأ من أبى بكر وعمر ، وقال بإمامتهما ، فقال زيد بن على رفضونى ، فسموا الرافضة ، وقد غالى بعضهم فى على – رضى الله عنه – وهم الغالبة فجعله بعضهم إلهاً ، وجعله البعض نبياً ، وقد قتل على رضى الله عنه بعضهم وأحرق بعضهم فى زمانه ، والغالية منهم تنكر يوم الحساب ، وأجمعت الرافضة على أن الأئمة معصومون ، لا يجوز عليهم الخطأ والغلط والسهو ، وقالوا بتفضيل علّ على سائر الصحابة ، وتبرأوا من أبى بكر وعمر وكثير من الصحابة – رضى الله عنهم – إلا فرقة الزيدية .
ولقد انقسمت الرافضة إلى فرق عديدة ، فانقسمت إلى أربعة أقسام ؛ زيدية ، وإمامية ، وكيسانية ، وغلاة ، ولقد افترقت هذه الفرقة إلى فرق عديدة ، كل فرقة تكفر سائرها ، وجميع فرق الغلاة منهم خارجون عن فرق الإسلام ، فأما فرق الزيدية وفرق الإمامية فمعدودون فى فرق الأئمة .
راجع ذلك (الفرق بين الفرق) لعبد القاهر البغدادى ، (منهاج السنة) لشيخ الإسلام ابن تيمية ، (البرهان فى معرفة عقائد أهل الأديان) لعباس السكسكى .

(٢) محمد بن الحسن العسكرى (الخالص) بن على الهادي ، أبو القاسم ، آخر الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية ، وهو المعروف عندهم بالمهدى ، وصاحب الزمان والمنتظر ، والحجة وصاحب السرداب ، ولد فى سامراء سنة ٢٥٦ هـ ، ومات أبوه وله من العمر نحو خمس سنين ، ولما بلغ التاسعة أو العاشرة من عمره أو التاسعة عشر دخل سرداباً فى دار أبيه بسامراء ولم يخرج منه .
قال ابن خلكان : والشيعة ينتظرون ظهوره فى آخر الزمان من السرداب بسر من رأى .
وفى المؤرخون كما فى (منهاج السنة) من يرى أن الحسن بن على العسكرى لم يكن له نسل ، وأن هذا الشخص المزعوم وهم من أوهام الشيعة .
انظر : (منهاج السنة النبوية) لابن تيمية (٢/ ١٣١) ، و(الأعلام) للزركلى (٦/ ٨٠) .

وكذلك ما يزعمه بعضهم من أن القطب الغوث الجامع يمد أولياء الله ، ويعرفهم كلهم ، ونحو هذا : فهذا باطل . فأبو بكر وعمر – رضى الله عنهما – لم يكونا يعرفان جميع أولياء الله ، ولا يمدانهم فكيف بهولاء الضالين المغترين الكذابين ؟! ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد ولد آدم إنما عرف الذين لم يكن رآهم من أمته بسيماء الوضوء ، وهو الغرة (١) والتحجيل (٢) ، ومن هؤلاء من أولياء الله من لا يحصيه إلا الله عز وجل . وأنبياء الله الذين هو إمامهم وخطيبهم لم يكن يعرف أكثرهم ؛ بل قال الله تعالى ﴿ **ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك** ﴾ (٣). وموسى لم يكن يعرف الخضر ، والخضر لم يكن يعرف موسى ؛ بل لما سلم عليه موسى قال له الخضر : وأنّى بأرضك السلام ؟ فقال له : أنا موسى ، قال : موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم . وقد كان بلغه اسمه وخبره ، ولم يكن يعرف عينه . ومن قال إنه نقيب الأولياء أو أنه يعلمهم كلهم فقد قال الباطل .

والصواب الذى عليه المحققون أنه ميت ، وأنه لم يدرك الإسلام ولو كان موجوداً فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لوجب عليه أن يؤمن به ، ويجاهد معه ، كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره ولكان يكون فى مكة والمدينة ، ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم

---

(١) الغُرَّة : بياض فى الجبهة ، وغرة الفرس : البياض الذى يكون فى وجهه والأغرُّ : الأبيض من كل شىء .

قال ابن برى : « ... وفى الحديث : غرٌّ محجلون من آثار الوضوء ؛ الغُرُّ : جمع الأغرّ ، من الغرة بياض الوجه ، يريد بياض وجوههم بنور الوضوء يوم القيامة » أهـ . انظر لسان العرب (١٤/٥) ط . دار صادر .

(٢) التحجيل : الحجْلُ : البياض نفسه ، والجمع أحجال ، والتحجيل . بياض يكون فى قوائم الفرس كلها ؛ قال الشاعر :

ذو مَيْعَة مُحَجَّلُ القَوائم

قال ابن الأثير : « ... ومنه الحديث : أمتى الغرُّ المحجلون أى بيض مواضع الوضوء من الأيدى والوجه والأقدام ... » أهـ .

(٣) سورة غافر / ٧٨ .

سفينتهم ، ولم يكن مختفياً عن خير أمة أخرجت للناس ، وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم .

ثم ليس للمسلمين به وأمثاله حاجة لا فى دينهم ولا فى دنياهم ، فإن دينهم أخذوه عن الرسول النبى الأمى - صلى الله عليه وآله وسلم - الذى علمهم الكتاب والحكمة ، وقال لهم نبيهم : « لو كان موسي حياً ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم » (١) وعيسى بن مريم - عليه السلام - إذا نزل من السماء إنما يحكم فيهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم . فأى حاجة لهم مع هذا إلى الخضر وغيره ؟! والنبى صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبرهم بنزول عيسى من السماء ، وحضوره مع المسلمين ، وقال : « كيف تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها (٢) . فإذا كان النبيان الكريمان اللذان هما مع إبراهيم وموسى ونوح أفضل الرسل ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم سيد ولد آدم ، ولم يحتجبوا عن هذه الأمة لاعوامهم ولا خواصهم ، فكيف يحتجب عنهم من ليس مثلهم . وإذا كان الخضر حياً دائماً فكيف لم يذكر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذلك قط ، ولا أخبر به أمته ، ولا خلفاؤه الراشدون .

وقول القائل : إنه نقيب الأولياء . فيقال له من ولاه النقابة ، وأفضل الأولياء أصحاب

---

(١) اسناده حسن : أخرجه أحمد (٣٨٧/٣) والدارمى (١١٥/١) وابن أبى عاصم فى السنة (٢/٥) وابن عبد البر فى « جامع بيان العلم وفضله » (٤٢/٢) من طريق مجالد عن الشعبى عن جابر رضى الله عنه مرفوعا .

وقلت : وهذا سند ضعيف من أجل مجالدين سعيد الهمدانى فقد قال ابن حجر فى التقريب : « ليس بالقوى : وقد تغير فى آخر عمره » لكن الحديث قوى فإن له شواهد كثيره . انظرها فى إرواء الغليل (٣٤/٦ ، ٣٥ ، ٣٦)

(٢) عزاه فى كنز العمال إلى الحاكم ، وهو يفيد باطلاقه أن الحاكم آخرجه فى المستدرك ولكن لم أره فيه فلعله خفى على مكانه والله أعلم .

وأخرج ابن أبى شيبة فى مصنفه (٢٩٩/٥) من حديث عبد الرحمن بن جبيرين نفير قال : لما أشتد فوق أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على من أصيب مع زيد يوم مؤته قال النبى ﷺ : ليدركن المسيح من هذه الأمة أقواماً إنهم لمثلكم أو خير ثلاث مرات ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها . وحسن إسناده الحافظ فى الفتح (٦/٧) .

محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وليس فيهم الخضر ، وعامة ما يحكى فى هذا الباب من الحكايات بعضها كذب ، وبعضها مبنى على ظن رجل ؛ مثل شخص رأى رجلاً ظن أنه الخضر وقال : إنه الخضر ، كما أن الرافضة ترى شخصاً تظن أنه الإمام المنتظر المعصوم ، أو تدعى ذلك ، وروي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال - وقد ذكر له الخضر - من أحالك على الغائب فما أنصفك .

وما ألقى هذا على ألسنة الناس إلا الشيطان . وقد بسطنا الكلام على هذا فى غير هذا الموضع .

وأما إن قصد القائل بقوله « القطب الغوث الفرد الجامع » أنه رجل يكون أفضل أهل زمانه فهذا ممكن لكن من الممكن أيضا أن يكون فى الزمان اثنان متساويان فى الفضل ، وثلاثة وأربعة ، ولا يجزم بأن لا يكون فى كل زمان أفضل الناس إلا واحداً ، وقد تكون جماعة بعضهم أفضل من بعض من وجه دون وجه ، وتلك الوجوه إما متقاربة وإما متساوية .

ثم إذا كان فى الزمان رجل هو أفضل أهل الزمان فتسميته « بالقطب الغوث الجامع » بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا تكلم بهذا أحد من سلف الأمة وأئمتها ، وما زال السلف يظنون فى بعض الناس أنه أفضل أو من أفضل أهل زمانه ولا يطلقون عليه هذه الأسماء التى ما أنزل الله بها من سلطان ؛ لا سيما أن من المنتحلين لهذا الاسم من يدعى أن أول الأقطاب هو الحسن بن على بن أبى طالب - رضى الله عنهما - ثم يتسلل الأمر إلى ما دونه إلى بعض مشايخ المتأخرين ، وهذا لا يصح لا على مذهب أهل السنة ، ولا على مذهب الرافضة . فأين أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ؟! والحسن عند وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان قد قارب سن التمييز والاحتلام .

وقد حكى عن بعض الأكابر من الشيوخ المنتحلين لهذا : أن « القطب الفرد الغوث الجامع » ينطبق علمه على علم الله تعالى وقدرته على قدرة الله تعالى ، فيعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر عليه الله . وزعم أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان كذلك ، وأن هذا انتقل عنه إلى الحسن ، وتسلل إلى شيخه . فبينت أن هذا كفر صريح ، وجهل قبيح ،

وأن دعوى هذا فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ كفر ، دع ما سواه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول إنى ملك** ﴾ (١) الآية وقال تعالى : ﴿ **قل لا أملك لنفسى نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وما مسنى السوء** ﴾ (٢) ﴿ **يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا ههنا** ﴾(٣) الآية وقال تعالى ﴿ **يقولون هل لنا من الأمر من شىء قل إن الأمر كله لله** ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ **ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ، ليس لك من الأمر شىء ، أو يتوب عليهم ، أو يعذبهم ، فإنهم ظالمون** ﴾ (٥) وقال تعالى ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ (٦).

والله سبحانه وتعالى أمرنا أن نطيع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ (٧) ، وأمرنا أن نتبعه فقال تعالى ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ (٨) .

وأمرنا أن نعزره ونوقره وننصره ، وجعل له من الحقوق ما بينه فى كتابه وسنة رسوله ، حتى أوجب علينا أن يكون أحب الناس إلينا من أنفسنا وأهلينا ، فقال تعالى ﴿ **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ (٩) وقال تعالى ﴿ **قل : إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره** ﴾ (١٠) . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده

---

(١) سورة الأنعام / ٥٠

(٢) سورة الأعراف / ١٨٨ .

(٣) سورة آل عمران / ١٥٤ .

(٤) سورة آل عمران ١٥٤ .

(٥) سورة آل عمران / ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٦) سورة القصص / ٥٦ .

(٧) سورة النساء / ٨٠ .

(٨) سورة آل عمران / ٣١ .

(٩) سورة الأحزاب / ٦ .

(١٠) سورة التوبة / ٢٤ .

ووالده والناس أجمعين » وقال له عمر رضى الله عنه : يا رسول الله ! لأنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسى فقال : « لا ياعمر ، حتى أكون أحب إليك من نفسك » قال : فلأنت أحب إليّ من نفسي قال : «الآن يا عمر » (١) وقال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار » . (٢)

وقد بين فى كتابه حقوقه التى لا تصلح إلا له وحقوق رسله وحقوق المؤمنين بعضهم على بعض ، كما بسطنا الكلام على ذلك فى غير هذا الموضع ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ **ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه ، فأولئك هم الفائزون** ﴾ (٣) فالطاعة لله و الرسول ، والخشية والتقوى لله وحده ، وقال تعالى : ﴿ **ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ، وقالوا : حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله؛ إنا إلى الله راغبون** ﴾ . (٤) فالإيتاء لله والرسول ، والرغبة لله وحده ، وقال تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ (٥) لأن الحلال ما أحله الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله . وأما الحسب فهو لله وحده ، كما قال : ﴿ **وقالوا حسبنا الله** ﴾ (٦) ولم يقل : حسبنا الله ورسوله ، وقال تعالى : ﴿ **يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين** ﴾ (٧) أى يكفيك الله ويكفى من اتبعك من المؤمنين ، وهذا هو الصواب المقطوع به فى هذه الآية ولهذا كانت كلمة إبراهيم ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - حسبنا الله ونعم الوكيل . والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم . وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

****

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البخارى (١١ / ٥٢٣ / فتح) وأحمد (٥ / ٢٩٣) من حديث عبد الله بن هشام رضى الله عنه مرفوعا .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى (١/٥٦/٥٨) ومسلم (٤٣) من حديث أنس رضى الله عنه مرفوعاً .

(٣) سورة النور / ٥٢ . (٤) سورة التوبة / ٥٩ . (٥) سورة الحشر / ٧ .

(٦) سورة آل عمران / ١٧٣ . (٧) سورة الأنفال / ٦٤ .

فهرس الموضوعات

الصفحة